

دور القيادة السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية: جورباتشوف وبوتين كدراسة حالة

The role of political leadership in determining the content of the national interest: Gorbachev and Putin as a case study

مروة خليل محمد مصطفى

أستاذ مساعد بكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية – جامعة الإسكندرية

المستخلص:

عند تحليل دور القيادة السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية نجد أن حالة روسيا تُظهر العديد من الأمور التي تستحق التحليل والدراسة، فنجد أنه في الوقت الذي انسحب فيه جورباتشوف من جميع دوائر السياسة الخارجية، انخرط بوتين في الشؤون العالمية بشكل مكثف. وإذا كان دور جورباتشوف في تحديد مضمون المصلحة القومية السوفيتية كان يعني إنهاء الحرب الباردة والتحول عن النسق الدولي الثنائي، نجد أن بوتين قد حدد مصلحة قومية روسية قوامها العودة إلى قطبية النسق الدولي لاستعادة مكانةً دوليةً مفقودةً. وعندما نحلل سياسات جورباتشوف الخارجية فإنها تأتي في سياق مبادئ الليبرالية السياسية، متمثلة في سياسات داخلية قوامها البيروسترويكا والجلاسنوست، وأخرى خارجية قوامها إنهاء الصراع مع الغرب. في حين نجد أن سياسات بوتين تندرج تحت الواقعية السياسية والبعد عن الليبرالية وعودة الصراع مع الغرب ومحاولة الهيمنة؛ الأمر الذي يُظهر بما لا يدع مجالاً للشك الدور الجوهرى للقيادة السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية، تلك المصلحة ذات الجوهر الثابت والمضمون المتغير بتغير العديد من العوامل، لاسيما القائد السياسي للدولة.

الكلمات الرئيسية: المصلحة القومية، بوتين، جورباتشوف، الليبرالية، روسيا

Abstract:

When analyzing the role of political leadership in determining the content of the national interest, we find that the case of Russia shows many things that deserve analysis and study. We find that while Gorbachev withdrew from all foreign policy circles, Putin became intensely involved in global affairs. If Gorbachev's role in defining the content of the Soviet national interest meant ending the Cold War and moving away from the bilateral

international system, we find that Putin has defined a Russian national interest based on returning to the polarity of the international system in order to restore a lost international position. When we analyze Gorbachev's foreign policies, they come in the context of the principles of political liberalism, represented by internal policies based on perestroika and glasnost, and external policies based on ending the conflict with the West. While we find that Putin's policies fall under political realism, distance from liberalism, and the return of conflict with the West and attempt to dominate; This clearly shows the fundamental role of the political leadership in determining the content of the national interest, which is an interest that has a fixed essence and a variable content with the change of many factors, especially the political leader of the state.

Keywords: national interest, Putin, Gorbachev, liberalism, Russia

مقدمة

يعد مفهوم المصلحة القومية أحد أهم المفاهيم في تحليل السياسة الخارجية بل هو من أهم مفاهيم العلاقات الدولية. ومن المعلوم أن الدول جميعها تمتلك مجموعة من المصالح القومية التي لا يمكن التغاضي أو التنازل عنها، مهما كان حجم الدولة أو مكانتها في سلم تدرج القوى الدولية. فالمصلحة القومية تعد في علم العلاقات الدولية بمثابة المفهوم الثابت، ولكن تحديد مضمون المصلحة هو ما يشكل التمايز بين الدول. بمعنى أن صورة المصلحة القومية والتدرج في الأولويات يحدد، بل هو ما يشكل محور صنع السياسة الخارجية لدى الدول. أضف إلى ذلك أن هذا التمايز وذلك الاختلاف إنما يضيف على السياسة الخارجية تنوعها وفنّها بل واختلاف الأدوات التي تحقق بها الدولة أهدافها وبالتالي مصالحها القومية. ويكمن موضوع البحث في تحليل مضمون المصلحة القومية لدى كل من ميخائيل جورباتشوف وفلاديمير بوتين، على اعتبار أن اختلاف رؤية كل منهما لمضمون المصلحة القومية السوفيتية، ومن ثم الروسية، أدى بطبيعة الحال إلى اختلاف في أدوات السياسة الخارجية الروسية وما استتبع ذلك من انتهاء صورة النسق الدولي الثنائي في حالة جورباتشوف من ناحية، ومحاولة جادة ودؤوبة للعودة إلى قطبية النسق الدولي في حالة بوتين من ناحية أخرى. والمعنى أن دور القيادة السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية أدى إلى تغير في صورة النسق الدولي مرة، وهو في سبيل التغير للمرة الثانية. وهذا بطبيعة الحال يبرز أهمية دور القيادة السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية.

المشكلة البحثية

- تكمن المشكلة البحثية في تحديد دور القيادة السياسية الروسية – متمثلة في كل من جورباتشوف وبوتين – في تشكيل مضمون المصلحة القومية وصورتها التي تحقق الأهداف القومية الروسية، وما يستتبع ذلك من تغير في أدوات السياسة الخارجية، الأمر الذي يؤدي إلى تغير صورة النسق الدولي. وعليه يتمثل التساؤل الرئيسي في التالي:

- ما هو دور القيادة السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية لدى كل من جورباتشوف وبوتين؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي أسئلة فرعية تتمثل في التالي:

- ما هو تعريف المصلحة القومية؟

- ما هي العوامل التي أدت إلى تحديد صورة المصلحة القومية لدى كل من جورباتشوف وبوتين؟

- ما هو التغير الذي حدث في السياسة الخارجية الروسية إثر تغير صورة المصلحة القومية لدى كل من

جورباتشوف وبوتين؟

هدف البحث

يهدف البحث إلى تحليل مضمون المصلحة القومية لدى كل من ميخائيل جورباتشوف وفلاديمير بوتين والمقارنة بين كل منهما في صياغة المصلحة القومية لكل من الاتحاد السوفيتي السابق وروسيا الاتحادية الحالية. وما يعنيه ذلك من تغير أدوات السياسة الخارجية في عهد كل منهما وتأثير ذلك على صورة النسق الدولي.

منهج البحث

يعد المنهج الاستقرائي بمثابة المنهج الملائم للبحث الذي بين أيدينا، من حيث تتبع واقع السياسة الخارجية الروسية متمثلة في رؤية القيادة السياسية الروسية لمضمون المصلحة القومية. بالإضافة إلى المنهج التحليلي الذي من شأنه تفكيك مفهوم المصلحة القومية وفق رؤية القيادة السياسية الروسية لحالتي البحث، وذلك بغية الوقوف على مضمون مفهوم المصلحة القومية لدى كل منهما. أضف إلى ذلك المدخل المقارن وذلك لمقارنة دور كل من جورباتشوف وبوتين في تحديد المصلحة القومية الروسية وكذلك مقارنة تأثير كل منهما على السياسة الخارجية الروسية وكذا على صورة النسق الدولي.

خطة البحث

بناء على ما سبق يمكن وضع خطة بحثية على النحو التالي:

أولاً: تعريف المصلحة القومية.

ثانياً: التغير في مضمون المصلحة القومية.

ثالثاً: دور القيادة السياسية الروسية في تحديد مضمون المصلحة القومية:

١- دور جورباتشوف في تحديد مضمون المصلحة القومية للاتحاد السوفيتي: (إنهاء الصراع الأيديولوجي)

(أ) العامل الذاتي: السمات الشخصية لجورباتشوف.

(ب) العامل الموضوعي: التأثير على صورة النسق الدولي.

٢- دور بوتين في تحديد مضمون المصلحة القومية لروسيا الاتحادية: (عودة الصراع مع الغرب)

(أ) العامل الذاتي: السمات الشخصية لبوتين.

(ب) العامل الموضوعي: التأثير على صورة النسق الدولي.

رابعاً: خاتمة تجمل نتائج البحث، وتشمل المقارنة بين حالتي الدراسة.

أولاً: تعريف المصلحة القومية

تكم أهمية مفهوم المصلحة القومية ليس فقط في كونه أداة تحليلية قوية على حد قول ستيف سميث Steve Smith

، بل أيضاً في أنه كمفهوم "يمكن استخدامه في أي معنى يرغبه صانع القرار". (Weldes, 1996, p. 275)

وبذلك تعد المصلحة القومية أحد أهم المفاهيم الأساسية في علم العلاقات الدولية، وبسبب هذه الأهمية تنوعت تعريفات

المصلحة القومية. فبوجه عام يمكن القول أن المصلحة القومية ما هي إلا: "محصلة أهداف الدولة في المجال

الخارجي، والتي تتضمن المحافظة على قدر مقبول من الاستقلال السياسي وحماية السيادة الوطنية وسلامة الكيان

الإقليمي للدولة وتحقيق الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعمل على زيادة الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية

، وكذلك العمل على حماية الشخصية القومية والثقافة الوطنية من أخطار الغزو الخارجي، والدفاع عن أيديولوجية

الدولة والعمل على نشرها في الخارج، وكل ما من شأنه الحفاظ على المكانة الدولية للدولة وزيادة قدرتها". (منصور،

(Steans, 2010, p. 8, ٢٠١٥) ويختصر البعض معنى المصلحة القومية في أنها ضمان الدولة أمن المواطنين. (Steans, 2010, p. 145)

ومن هنا فإن المصلحة القومية تتمثل في: "ما تسعى الدول من تحقيقه من أهداف، وما تعمل على حمايته في مواجهة الدول الأخرى". وهي أيضاً: "العمليات التي تسعى الدول المختلفة من خلالها إلى مواءمة مصالحها الوطنية مع المصالح الوطنية للدول الأخرى". وهي "كل قيمة ذات أهمية لأي من اللاعبين الدوليين يسعى إلى تحقيقها أو الحفاظ عليها أو العمل على زيادتها". (منصور, ٢٠١٥, p. 8)

يؤكد الواقعيون الجدد على أهمية المصالح القومية في تحليل سلوك الدول، فنجد والتر يقول أن كل دولة تتبع ما يحقق مصالحها، كما يؤكد الواقعيون الكلاسيكيون على أن المصلحة القومية هي الدليل الأساسي أو الأولي للسياسة الخارجية، وهي الفكرة الأخلاقية التي لا بد أن يدافع عنها ويحققها صنّاع القرار. وفي حين يرى والتر أن المصلحة القومية هي الإشارة التي يتبعها صنّاع القرار ألياً أو تلقائياً عند تحركهم أو عملهم، يرى مورجانتو أن من واجب قادة الدولة اتباع المصلحة القومية عند رسم السياسة الخارجية، أي أن المصلحة القومية هي الغاية النهائية للسياسة الخارجية. (Jackson & Sorensen, 2013, pp. 67,81)

ويتمثل المعنى الأكثر انتشاراً في شأن مفهوم المصلحة القومية في فكرة أمن الوحدة السياسية، وذلك استناداً إلى أنه ليس من شيء يبدو لرجال الدولة أعظم شأناً من العناية بأمن دولتهم تأكيداً لاستمرارها. ولقد نوه عن ذلك الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز، فلقد انتهى في تحليله للدولة إلى أن هدف كل وحدة سياسية يتمثل بصفة أصلية في استمرارها أي في أمنها. (بدوي & مرسي, ١٩٩٢, p. 51)

وبذلك تعكس المصلحة القومية الغايات العامة والمستمرة أو طويلة الأمد التي تسعى الدولة إلى تحقيقها. (منصور, ٢٠١٥, p. 8) وعليه يُطبّق مفهوم المصلحة القومية من قبل السياسيين بالتبرير، ومن قبل المحللين الواقعيين بالتفسير، ولذلك فالمصلحة القومية هي الخيار الموضوعي للدولة الذي يمكن استقراؤه من الموقع الجغرافي للدولة ومن مواردها الطبيعية وغير ذلك من العوامل. وهو مفهوم جدلي خاصة وأن الدولة ليست بالكيان الموحد، ولكنها تتكون من عديد من الجماعات المختلفة وشعوب تعرف مصالحها القومية بأشكال وصور مختلفة. (Steans, 2010, p. 192)

من وجهة نظر واقعية، نجد أن هناك اختلاف بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية حيث الأخير تعمل في ضوء الفوضى الدولية. ويمثل غياب السلطة العليا فوق الدول مظهراً لا يمكن تخطيه ومنافسة فيما يعرف بمعضلة الأمن.

نتيجة لذلك فالدولة تهتم ببقائها بالضرورة، والمصلحة القومية بذلك تتحدد وفق الفوضى ومبدأ الاعتماد على الذات في النسق الدولي. وهذا يعنى عند مورجانتو، أن المصلحة القومية للدولة تتمثل في حماية وجودها المادي والسياسي وهويتها الثقافية في مواجهة الدول الأخرى. وتتحدد التهديدات التي تواجه الدولة من واقع القوة النسبية في النسق الدولي، أي بنية النسق وتوزيع القوة. (Weldes, 1996, p. 277)

المصلحة القومية بين فكرة الأمن وفكرة القوة:

والمصلحة القومية متمثلة في فكرة الأمن تشمل بدهة ما يؤكد استمرار الوحدة السياسية: ضمان سيادة الدولة واستقلالها، وضمان إقليمها، وضمان حياة شعبها، ضمان هذه جميعاً ومعاً، فذلك هو السبيل الأوحى إلى ضمان استمرار الدولة، فلا تضحى بشئ من هذه العناصر إلا عند الضرورة القصوى ولحساب فكرة الاستمرار. (بدوي & مرسي, ١٩٩٢, p. 52)

قد تكون المصلحة القومية معقدة وصعبة التعريف في مصطلحات محددة، ولكن الواقعيين يفترضون أن ما تسعى إليه الدولة هو القوة في سبيل تحقيق أهدافها. وأن الحاجة إلى القوة تنبع من الطبيعة الفوضوية للنسق الدولي، وبالتالي على الدولة اتباع قاعدة الاعتماد على الذات. (Brown & Ainley, 2005, p. 29)

يعلن فريدريك شومان Frederick Schuman أن الدولة تسعى إلى القوة باعتبارها غاية في ذاتها. وهكذا يربط الأمريكيون المحدثون أصحاب فكرة المصلحة القومية بين المصلحة القومية والقوة. وتحقق الدولة أمنها على وضعين: إما ضعف ما عداها بأن تكون دونها في القوة أو إضعاف الآخرين بعمل من أعمال القوة، ومن ثم فإن أمن الوحدة السياسية يكمن في قوتها الذاتية. ومن هنا ترتبط فكرة المصلحة القومية بسياسة القوة. (بدوي & مرسي, ١٩٩٢, p. 52) كما يؤكد جيلبين على العلاقة التاريخية بين القوة العسكرية والقدرة على تحقيق المصالح القومية. (Griffiths, 2009, p. 12)

ويربط هدف كل جماعة سياسية باستمرارها ومن ثم بأمنها يوحى بالقول بأن الحرب لا يمكن أن تكون مقصودة بذاتها، وإنما هي مجرد وسيلة إلى الأمن مما يوحى بوجود ارتباط بين فكرة الأمن وفكرة القوة. إن أمن الوحدة السياسية يكمن في قوتها الذاتية. (بدوي & مرسي, ١٩٩٢, p. 51) ومن هنا لا حرج في ربط فكرة المصلحة القومية بسياسة القوة، باعتبارها متلازمين، وعلى أساس أن المصلحة القومية تتمثل في المثابرة على إنماء القوة الذاتية. وفي هذا يرى مورجانتو في القوة روح الدولة، فبقوة الدول يتحقق لها الاستقلال والاستمرار. (بدوي & مرسي, ١٩٩٢, p. 52)

والمصلحة القومية يصنعها المسؤولون عن سياسات الدولة، وهم أفضل من يحكم على السياسة الأفضل وهم من يعرفون ويدافعون عن ويتكلمون باسم الدولة. ولكن هذا المدخل لدراسة المصلحة القومية والمتوجه بالنخبة لا يمكن أن يميز بين السياسات الجيدة، التي هي في صالح الدولة، من غيرها. وهناك مدخل آخر يتفق مع المدرسة الواقعية، وفق فروض أساسية حول طبيعة العلاقات الدولية وأهداف الدولة، وهو يتضمن فكرة أن الفوضى تصنع سياسة خارجية أولويتها أمن الدولة. والأمن بدوره يتطلب إدارة رشيدة للقوة (التي لا يمكن اختزالها في القوة العسكرية فقط). ووحدها السياسات التي تتفق مع ذلك هي ما يمكن اعتبارها تخدم المصلحة القومية. وهذا المدخل يعرف المصلحة في إطار القوة، ويعرف القوة في إطار المصلحة. (O'Callaghan, 2002, p. 204) أي أنه يتعامل مع المفهومين على اعتبارهما مترادفين.

ثانياً: التغير في مضمون المصلحة القومية

يمكن القول بأن مفهوم المصلحة القومية قد تطور عبر التاريخ. فقد كان مفهوم المصلحة يرتبط بإرادة الأمير أو بمصلحة الملك صاحب السيادة، غير أنه مع تطور المجتمعات وظهور مفهوم الدولة وانتشار الأفكار الديمقراطية، ارتبطت السيادة بالدولة وبالأمّة أو الشعب، ومن ثم أصبحت المصلحة القومية هي المعبرة عن المصلحة العليا للجماعة ككل. (منصور، ٢٠١٥، 9 p.)

ولاشك أن وضوح مضمون المصلحة القومية في ذهن متخذ القرار الخارجي أو صانع السياسة الخارجية يساهم في تحقيق هدفين: (١) أنه يؤدي إلى استقرار التوجهات العامة للسياسة الخارجية للدولة تجاه العالم الخارجي. (٢) أنه يمثل المعيار الحاكم في عملية الاختيار بين البدائل عند اتخاذ القرارات الخارجية بصدد المواقف الخارجية. (منصور، ٢٠١٥، 8 p.) وفي حين يُستخدم مفهوم المصلحة القومية لوصف ودعم سياسات معينة، تظهر مشكلة كيفية تحديد المصلحة القومية كمفهوم من ناحية والسياسات المتبعة من ناحية أخرى. (O'Callaghan, 2002, p. 203) وهو أمر جدلي ويظهر من خلال حالتني الدراسة في هذا البحث.

وعند النظر إلى المصلحة القومية على أنها "كل قيمة ذات أهمية لأي من اللاعبين الدوليين يسعى إلى تحقيقها أو الحفاظ عليها أو العمل على زيادتها"، (منصور، ٢٠١٥، 8 p.) نجد أن الواقعية تؤكد على أن ممارسة القوة هي بمثابة قلب العلاقات الدولية حيث أن الدولة تبذل قصارى جهدها لحماية مصالحها القومية، في حين تؤكد الليبرالية

على أن التجارة بين الدول هي ما يحقق المصلحة القومية. (Strange, 2010, pp. 15,28) هذا يقضي بوجود اختلاف بين رؤية كل من الواقعية والليبرالية بصدد مضمون المصلحة القومية.

ويتمثل النقد الأساسي لوجهة النظر هذه في أن الواقعية تعتمد إلى تعميم المصلحة القومية دون تفسيرها، وعلى حد قول مورجانتو فعلى صانع القرار أن يرى المشكلات التي تواجه دولته كما هي، ولكن المشكلات لن تفصح عن نفسها للملاحظ. وفي النهاية فالأمر خاضع لرؤية صانع القرار نفسه وتقديره لمضمون المصلحة القومية للدولة. فالمصلحة القومية الصحيحة والملائمة للموقف تتطلب دوماً التأويل أو التفسير. (Weldes, 1996, p. 278) وهذا بدوره يقع على عاتق القيادة السياسية في الدولة.

إن الحديث عن مفهوم عام مجرد للمصلحة القومية متمثلاً في قوة الدولة أو في أمنها لا يعني أن لهذه المصلحة القومية معياراً ثابتاً وإنما الصحيح باستقراء الواقع أن لها مضموناً حسيماً متغيراً تبعاً لتغير تصور النظم السياسية للعالم الخارجي. أي أن مضمون المصلحة القومية متغير بتغير النظم السياسية، وأن مضمون المصلحة القومية متغير بتغير الظروف التاريخية. إن الملاحظة الطويلة تقنع بأن تصور مضمون المصلحة القومية لدى الدول القومية كان ولا يزال يتشكل على هدى تجارب قومية معينة بل وفي ضوء القوة الفعلية للوحدة السياسية. (بدوي & مرسي، ١٩٩٢، pp. 216,217)

ويؤيد ذلك أيضاً أن المصلحة القومية كمفهوم عام لاتعدو أن تكون التصوير الاصطلاحي لفكرة الخير العام في إطار المجتمع القومي، والخير العام مفهوم مجرد يتباين محتواه من نظام سياسي إلى نظام سياسي آخر، بل ومن عصر إلى عصر في المجتمع الواحد، فالخير العام يتمثل في المجتمعات الرأسمالية الغربية الفردية النزعة في المنافسة الحرة في المجال الاقتصادي والحرية الفردية، أما في المجتمعات الماركسية يتمثل الخير العام في الملكية الجماعية في الطريق إلى مجتمع الوفرة الشيوعي. وهكذا ومادنا بصدد الخير والمصلحة وغيرها مما يقبع في مجال القيميات البحثية، فإن المضمون يتغير بتغير الفلسفات والأيدولوجيات، بل وربما بتغير القيادات السياسية. فليس مما يتسنى تجاهله ذلك الدور الإنشائي الذي لعبه بعض القادة السياسيين في تصوير الكثير من الفلسفات التي اعتمد عليها العمل السياسي في مجتمعاتهم، مرتكزين في ذلك إلى تجارب سابقة أحياناً بل إلى وجهات نظر ذاتية في أحيان أخرى، (بدوي & مرسي، ١٩٩٢، p. 218) على نحو ماسيرد في حالتي الدراسة في هذا البحث.

علاقة التغير في مضمون المصلحة القومية بتغير النظم والقيادات السياسية:

وبصدد علاقة التغير في مضمون المصلحة القومية بتغير النظم والقيادات السياسية، ثمة اتجاهان في تفسير هذه العلاقة. الأول: العلاقة بين التغيرات الأيديولوجية وبين تحديد مضمون المصلحة القومية وما يستتبعه من تحديد لمضمون أهداف السياسة الخارجية. فهؤلاء إذ يقررون توافقاً بين هذين التغيرين بدءاً من ملاحظتهم لواقع العصر، ينبهون إلى أنه بعيد عن أن يدرك مستوى الارتباط ومن ثم مستوى القانون العلمي، وإنما الأمر مقصوراً عندهم على مجرد التنبيه إلى وضوح هذا التوافق. وبهذا التصور يمكن اقتراح الصيغتين الآتيتين: "إن درجة مصاحبة تغير الأهداف الدبلوماسية لتغير النظم السياسية تتوقف على درجة إمعان النظم الأيديوكراسية في الأيديولوجية"، "إن درجة مرونة التغير في التكتيك تتوافق مع درجات اتجاه النظام السياسي نحو الانطلاق في السلطة". والحق أن في هذه الصيغة كثيراً من الصدق مع الواقع، فالقيادات السياسية المطلقة أي التي لا تخضع خضوعاً فعلياً لضغط المحكومين، أو لقيود دستورية حقة، فتتحرك في الشؤون العامة تحركاً حراً، هي بالتبعية أكثر حرية في مجال أساليب العمل الدبلوماسي. الثاني: يبدو الاتجاه الثاني متمثلاً في استبعاد التغير الأيديولوجي كعامل من عوامل التغير الدبلوماسي في مجال الأهداف أو التكتيك. فطبقاً لهذا الاتجاه، ليس التصور لمضمون المصلحة القومية في المجال الخارجي بالذات، ومن ثم التصور للعالم الخارجي، متغيراً بتغير الأيديولوجيات الحاكمة، وإنما هو مرتبط جملة وتفصيلاً بحساب القوى في المجال الدولي. (بدوي & مرسي، ١٩٩٢، pp. 220,221) وفي كلتا الحالتين، يدفع التغير في مضمون المصلحة القومية بالدول إلى إعادة التفكير في صورة التحالفات. (O'Callaghan, 2002, p. 2) ويؤكد الواقعيون على أن المصلحة القومية تفوق في أهميتها الأيديولوجية. (Pevehouse, 2014, p. 176) كما يؤكدون على احتمال التضحية بالمصالح الإنسانية في سبيل المصالح القومية. (Chiaruzzi, 2012, p. 46)

دور القيادة السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية:

وبناءً على ماسبق يثور التساؤل حول دور النظم والقيادات السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية، وهذا بدوره يؤثر التساؤل التالي: هل للمصلحة القومية معيار ثابت؟ أم أن مضمونها متغير بتغير النظم والقيادات السياسية داخل الدولة القومية؟ هل للمصلحة القومية معيار ثابت يحتكم إليه رجال الدولة في تحديد أهداف سياستها الخارجية فلا يحدون عنه، أم أن مضمون المصلحة القومية متغير من دولة إلى دولة، بل ومن نظام سياسي إلى نظام سياسي آخر في داخل الدولة الواحدة، الأمر الذي يجعل منه أثراً من آثار الظروف التاريخية والاجتماعية المتغيرة؟ (بدوي & مرسي، ١٩٩٢، p. 214) خاصة وأن من يمثل الدولة هم القادة - صناع القرار - الذين لديهم القدرة والمهارة في فن

الحكم وإدارة العلاقات مع القوى الأخرى. (Steans, 2010, p. 144) كما أن لديهم الكثير من الاختلافات الشخصية "البيئة الإدراكية" بالإضافة لاختلاف "البيئة الحركية".

ويمكن الإجابة على التساؤلات السابقة من خلال دراسة السمات الشخصية للقادة السياسيين. ومن هنا يقترح البعض أربعة محددات تظهر فيها أهمية السمات الشخصية للقائد: (١) عندما يحتل الشخص موقع القيادة في النظام السياسي للدولة. (٢) عندما يكون المتغير السياسي غير مستقر "حالات عدم الاستقرار السياسي". (٣) وعندما يكون الموقف يحتاج إلى سياسات حاسمة. (٤) عندما تكون متطلبات دور القائد غير واضحة. وكل هذه المحددات قد اجتمعت في حالة الاتحاد السوفيتي ومن ثم روسيا (Semenova & Winter, 2020, p. 813) كما ستظهر السطور القادمة من البحث، بل إن بعض هذه العوامل قد أدى إلى بعضها الآخر.

المصلحة القومية وعقلانية صانع القرار:

ينزع صناع القرار إلى التصرف برشد لتحقيق المصلحة القومية للدولة. (Mingst, 2003, p. 67) وتدور دراسة صانع القرار الفرد حول العقلانية أو الرشد. فإلى أي مدى يمكن لصانع القرار أن يصنع قراراً رشيداً في إطار المصلحة القومية؟ هذا يتطلب بدوره تعريف أو تحديد ماهية المصلحة القومية. وبالتالي العودة إلى وجهة النظر الواقعية في العلاقات الدولية. ومن الجدير بالذكر أن عقلانية الفرد لا تتناسب أو لا تعني بالضرورة عقلانية الدولة: فالدول قد تستبعد قرارات الأفراد غير الرشيدة حتى يصل بها المقام إلى الخيار الرشيد. ولكن الواقعيون ينزعون إلى افتراض أن كلا من الدول والأفراد عقلانيون بالضرورة وأن أهداف ومصالح الدول تتماشى و تتناسب مع هؤلاء القادة. وأكثر نماذج الفاعل الرشيد تبسيطاً يفترض أن المصالح هي نفسها لا تتغير من فاعل إلى آخر. ولكن إذا كان هذا صحيحاً، لكان الأفراد سينخرطون في أدوارهم دونما تغيير في التاريخ، يؤدون نفس الشيء، ويتخذون ذات القرارات، ولكانت الدول تصرفت بشكل متماثل أو على الأقل، كانت الاختلافات بين الدول ستعكس اختلاف الموارد والجغرافيا وليس الاختلافات في طبيعة المصالح القومية. (Pevehouse, 2014, p. 129)

يفترض معظم الواقعيون أن من يمتلك القوة في الوقت الذي يصنعون فيه السياسات إنما يتصرفون على اعتبارهم فاعلين عقلاء rational actors في تأثيرهم على الآخرين. هذه النظرة لها وجهين في العلاقات الدولية. الأول، يقضي افتراض الرشد والعقلانية أن الدول والفاعلين الدوليين الآخرين يمكنهم تعريف مصالحهم وكذلك وضع أولويات المصالح المتنوعة: فسلوك الدول يهدف إلى تعظيم مصالحها. والعديد من الواقعيين يفترضون أن الفاعل الدولي –

عادة الدولة - الذي يمارس القوة هو كيان موحد يمكنه "التفكير" في أفعاله بشكل متماسك بل ويصنع الخيارات. وهذا يسمى فرض وحدة الفاعل unitary actor assumption وأحياناً يسمى فرض القائد القوي strong leader assumption . وفي هذا الفرض تبسيط للواقع لأن مصالح سياسيين بعينهم والأحزاب والفاعلين الاقتصاديين أو أقاليم محددة في الدولة غالباً ما تتصارع. ولكن ماهي مصالح الدولة؟ هل هي مصالح فاعلين محددين داخل الحكومة؟ أم هي مصالح جماعات داخلية؟ هل هي الحاجة إلى حل الصراع مع الدول الأخرى؟ أم هي القدرة على التعاون مع الآخرين وتحقيق المنافع؟ ليس هناك إجابة واحدة صحيحة. بعض الواقعيين يعرف المصلحة القومية تعريفاً بسيطاً على اعتبارها تعظيم القوة المادية، وهذا فرض يخضع للجدل. ويقارن آخرون القوة في العلاقات الدولية بالمال في الاقتصاد، وهو معيار عالمي. ووجهة النظر هذه تقضي بتشابه حالة المنافسة بين الشركات على المال بالتنافس بين الدول على القوة في النسق الدولي. الثاني، تعني العقلانية أن الفاعلين قادرين على أداء تحليل التكلفة والمنفعة، وحساب التكاليف من جراء فعل أو سلوك معين والمنافع العائدة من هذا السلوك. (Pevehouse, 2014, p. 76)

وبذلك نجد أن مدخل القرار الرشيد يفترض أن صانع القرار الفرد يسخر كل المعلومات المتاحة ويحدد الهدف، ويختبر الخيارات الممكنة، ومن ثم يختار القرار الأفضل الذي يحقق أفضل نتائج ممكنة. ولكن الحقيقة تقضي بأن صانع القرار ليسوا رشيدين بالضرورة. بسبب عدم دقة المعلومات أو تأويل صانع القرار للمواقف والمعلومات وغيرها من العوامل. فصانع القرار يستخدم آلية سيكولوجية لتقييم المعلومات والمواقف، وهو المنظور الشخصي والخبرات السابقة، التي تجعل صانع القرار انتقائي في استقبال وتشغيل المعلومات. (Mingst, 2003, p. 138)

ويدعم هذا الرأي أن خيارات صانع القرار إنما تُبنى انطلاقاً من إدراكه لمواقف السياسة الخارجية. إذ لا تتحدد خيارات السياسة الخارجية بناءً على قوة الدولة وأوضاعها السياسية والاقتصادية أو نسقها العقدي فقط، ولكنها تتحدد على أساس تصور صانعي قرارات السياسة الخارجية لهذه العوامل المختلفة وأثرها في تحديد خيارات السياسة الخارجية. ويتأثر ذلك بتصور صانع القرار عن العالم الخارجي، فإدراك المرء للأحداث الخارجية ولكيفية التصرف إزاءها يتأثر إلى حد كبير بتصور المرء للسوابق التاريخية. (جنسن، ١٩٨٩، p. 34)

ولاشك أن للأفراد قدرات محدودة - وهو ما يُعرف بالقيود الإدراكية - في صنع قرارات رشيدة وموضوعية. يقول هولستي: تشمل القيود الإدراكية على العقلانية - الرشيد - في صنع القرار محدودية القدرات الفردية على استقبال وتشغيل process المعلومات التي يفرضها الموقف، وبذلك تتقلص القدرة على تعريف مجموعة البدائل المتاحة وكذا معرفة عواقب كل بديل وبالتالي عدم القدرة على تحديد التفضيلات على مستوى المنفعة الفردية. (Jackson &

(Sorensen, 2013, p. 263) وهنا تأتي أهمية الصور الذهنية والنسق العقيدي للأفراد، فالأفراد ينزعون إلى أن يُظهروا اتساقاً إدراكياً بحيث يضمنون أن الصورة التي يظهرون بها تتسق مع النسق العقيدي لديهم. وهنا يختار الأفراد المعلومات انتقائياً بما يخدم هذه الصور الإدراكية. (Mingst, 2003, p. 140)

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يؤكد البعض على ضرورة الاهتمام بالدوافع الشخصية عند تحليل السياسة الخارجية للدولة. (جنسن, ١٩٨٩, p. 5) ومن هنا يتعين دراسة نمط شخصية القائد. فاتجاهات القائد تحدد المنظور الذي يفسر به أو يحلل به المعلومات الواردة بشكل يؤكد معتقداته في صياغته لمضمون المصلحة القومية وبالتالي السياسة الخارجية. (Hermann & Hermann, 1989, p. 365) (Hermann, 1980) وهذا ما سيظهر في السطور القادمة من حالتي الدراسة.

ويضع لويد جنسن فروضاً تُظهر أثر العوامل الشخصية على النحو التالي: (١) كلما ازداد اهتمام صانع القرار بشؤون السياسة الخارجية، ازداد أثر العوامل الشخصية على عملية صنع السياسة الخارجية. (٢) كلما قويت سلطة اتخاذ القرار التي يتمتع بها صانع القرار، ازداد أثر المتغيرات الشخصية في عملية صنع القرار. (٣) كلما ارتفع مستوى هيكل صنع القرار، ازداد أثر العوامل الشخصية في صنع السياسة الخارجية. (٤) كلما كانت مواقف صانع القرار غير روتينية، ازداد أثر المتغيرات الشخصية في عملية صنع السياسة الخارجية. (٥) كلما اتسمت المواقف بالغموض وعدم التوقع ووجود معلومات متناقضة، ازداد أثر العوامل الشخصية في عملية صنع السياسة الخارجية. (٦) كلما أصبحت المعلومات شديدة الوفرة أو شديدة الندرة، ازداد أثر العوامل الشخصية على صنع السياسة الخارجية. (٧) كلما كان الموقف يتطلب تخطيطاً طويلاً، ازداد أثر العوامل الشخصية في صنع السياسة الخارجية. وأخيراً (٨) كلما تعلقت القضية بالبقاء الوطني "الأمن القومي"، انخفض دور العوامل الشخصية في صنع السياسة الخارجية. (جنسن, ١٩٨٩, pp. 15-18)

ومما لاشك فيه أن السمات الشخصية لصانع القرار لها أكبر الأثر لاسيما في تحديد مضمون المصلحة القومية ومن ثم عملية صنع القرار الخارجي. لقد وجدت باحثة علم النفس السياسي مارجريت هيرمان عدداً من السمات الشخصية التي تؤثر على سلوك السياسة الخارجية. ويمكن أن نلخص ذلك فيما يلي: (١) القادة ذوو التوجه العالي نحو القومية، ويعتقدون في قدرتهم العالية على التحكم في الأحداث انطلاقاً من حاجة متزايدة للقوة، ودرجة عالية من عدم الثقة في الآخرين. وهؤلاء ينزعون إلى تطوير اتجاه مستقل في السياسة الخارجية. (٢) المجموعة الثانية هم القادة الذين لديهم نزعة قوية للانتساب affiliation ودرجة عالية من الثقة بالآخرين، ودرجة متدنية في الارتباط بالقومية، وثقة قليلة في

قدرتهم على التحكم في الأحداث. وهؤلاء ينزعون إلى مشاركة عملية صنع القرار الخارجي. (Mingst, 2003, p. 135) وبناءً على كل ذلك يؤكد كثيرون صعوبة تجاهل أثر الخصائص الفردية عند محاولة تفسير صنع القرار في الاتحاد السوفيتي السابق وروسيا الحالية. (جنسن, ١٩٨٩, p. 4)

وارتباطاً بحالة الدراسة يثور التساؤل التالي: متى يزيد نفوذ الأفراد في تحديد مضمون المصلحة القومية؟ من الجدر بالذكر أن هناك أيضاً تأثير للصورة التي عليها المؤسسات السياسية داخل الدولة. فعندما تكون المؤسسات السياسية غير مستقرة، حديثة الإنشاء، في أزمة أو تنهار، نجد أن القادة يمكنهم في هذه الحالة التأثير بقوة على القرارات ومن ثم تفعيل تصورهم للمصلحة القومية. لقد وجد جورباتشوف طريقه للتأثير على مؤسساته السياسية لأن الأخيرة كانت في حالة أزمة اقتصادية لا تخفى على أحد. يزيد أيضاً نفوذ الأفراد عندما تقل القيود المؤسسية الداخلية، مثل المعارضة الضعيفة. هنا يكون للأفراد نفوذ قوي في صنع السياسة الخارجية. (Mingst, 2003, pp. 135,136)

ثالثاً: دور القيادة السياسية الروسية في تحديد مضمون المصلحة القومية

وفيما يلي نحلل دور كلاً من جورباتشوف وبوتين في تحديد مضمون المصلحة القومية وكذا السمات الشخصية لكل منهما وأثرها على سياساته الخارجية، ومن ثم تأثير ذلك على صورة النسق الدولي الذي تغير بموجب اختلاف رؤية كل منهما للمصالح القومية للدولة.

١- دور جورباتشوف في تحديد مضمون المصلحة القومية للاتحاد السوفيتي: (إنهاء الصراع الأيديولوجي)

أكد هانز مورجانثو بعد الحرب العالمية الثانية أن السياسة الدولية تحكمها قوانين موضوعية تركز إلى المصالح القومية معرفة بدورها في ضوء أو في سياق القوة وليس الدوافع النفسية لصانعي القرار. (Pevehouse, 2014, p. 44) ولكن هذا الرأي لا يتناسب مع الدور القوي للعوامل النفسية وللبيئة الحركية لصانع القرار في التأثير الفعال عند تحديد مضمون المصلحة القومية.

لقد شعر جورباتشوف أنه مجبر على إجراء إصلاحات اعتقد أنها ضرورية بل حتمية، وخالف بسياساته كل التوقعات وكل ما هو معروف لدى السياسيين والمحللين عن الاتحاد السوفيتي. (Brar, 1994, p. 1465) وكان أسلوب جورباتشوف يتمثل في البدء بإصلاحات محدودة ومن ثم تطوير هذه الخطوة من خلال معايير راديكالية. (Hough, 1990, p. 650) وفي الوقت الذي تنبأ البعض بأن إصلاحات جورباتشوف شكلية وليست جوهرية، (Hough,

29 (1989, p. 29) أعلن جورباتشوف مفهومي البيروسترويك والجلانوسست في إطار الإصلاحات التي قدمها لإنقاذ الاتحاد السوفيتي.

كانت **البيروسترويك** تعني: السماح للشركات الخاصة والشركات الأجنبية بتقديم إدارة أفضل ومنافسة بين الشركات. وذلك في إطار زيادة سرعة العمليات الاقتصادية والاجتماعية. أما **الجلانوسست**: فكانت تعني الانفتاح والشفافية، وهي السياسة التي سمحت للصحافة بالكشف عن تعديت موظفي الدولة على جميع المستويات في النظام وكذا مديري المصانع والمتاجر وموظفي الوزارات، حيث أصبحوا مستهدفين من قبل صحافة الحزب للكشف عن تصرفاتهم غير القانونية وتربحهم غير المشروع. (Hill, 2005, p. 39) كانت البيروسترويك والجلانوسست بمثابة الأدوات التي استخدمها جورباتشوف في إطار السياسة الداخلية.

وفيما يلي نحلل كلاً من السمات الشخصية لجورباتشوف كعامل ذاتي "بيئة إدراكية" في تحديد مضمون المصلحة القومية ومن ثم ننقل إلى العامل الموضوعي "البيئة الحركية" المتمثل في صورة النسق الدولي.

(أ) العامل الذاتي: السمات الشخصية لجورباتشوف.

لا يمتلك صناع القرار الأفراد قيماً ومعتقدات مختلفة فقط، ولكن أيضاً لديهم شخصيات متفردة من ثنايا تجاربهم الشخصية، قدراتهم الفكرية، والأسلوب الشخصي في صنع القرار. ويدرس بعض باحثي العلاقات الدولية علم النفس للأفراد لفهم كيف تؤثر السمات الشخصية على صنع القرار السياسي. ومداخل التحليل النفسي تؤكد على أن الشخصيات تعكس تأثير خبرات الطفولة واللاوعي. (Pevehouse, 2014, p. 129)

ومما لا شك فيه أن قناعات الشخص تتشكل منذ طفولته المبكرة، المتجذرة في أنماط وقيم الأسرة واللغة التي يستخدمها الآباء. وفي سبيل تحليل السمات الشخصية لجورباتشوف أكد ويليام توبمان William Taubman كاتب سيرة جورباتشوف؛ أن الأخير تربى على الليبرالية خاصة في علاقته بأبويه. لم يستخدم والده العقاب المادي "البدني" مطلقاً بل كان يعامله بكل احترام. كما أكد جورباتشوف أن جده كان يعامله بلطف. فكانت طفولته سعيدة لأنه كان محبوباً ومقدراً. وفي مرحلة لاحقة تعرضت مدينته للغزو من قبل النازي في ١٩٤٢، وعاد والده من الحرب بعدما قيل أنه قتل، وكانت العائلة على شفا المجاعة عدة مرات. وبذلك شكلت خبرات الحرب والاحتلال نظرتة لويلات الحرب والعنف طوال حياته، الأمر الذي كان له دور في تشكيل خياراته السياسية بعد ذلك. (Savranskaya, 2020a,)

ولتحليل خبرات جورباتشوف السياسية يمكن البدء بفترة حكم ستالين التي شهد جورباتشوف أحداثها، ومن ثم انضم للطلبة في مناقشاتهم المكثفة التي سمحت بها وفاة ستالين. وكان عضواً في منظمة شباب الشيوعية عندما أعلن خروشوف عن جرائم ستالين في المؤتمر العشرون للحزب في ١٩٥٦. (Kaiser, 1991, p. 162) ومن ثم شهد جورباتشوف فترة حكم بريجنيف ١٩٦٤-١٩٨٢ والتي شهدت انتقادات عديدة للأيديولوجية الماركسية حيث احتلت سياسة الانفتاح على الغرب مركز الصدارة في السياسة السوفيتية آنذاك، كما قل الاهتمام بالطابع الأيديولوجي في السياسة الخارجية السوفيتية، أضف إلى ذلك زيادة التفاعل بين الشرق والغرب، الأمر الذي أدى إلى تغلغل القيم الغربية خاصة في دول أوروبا الشرقية. نتج عن ذلك تراجعاً للأيديولوجية الماركسية في تلك المرحلة. (جنسن, ١٩٨٩, pp. 91,93)

وبذلك يمكن القول بأن أفكار جورباتشوف حول الاشتراكية ذات الوجه الإنساني كانت قد تبلورت في الستينيات، وكانت زيارته لبراغ في ١٩٦٩ ذات تأثير كبير عليه، حيث وصف شعوره بعدم الارتياح، وعدم القدرة على التحدث إلى الناس، وأن "غزو تشيكوسلوفاكيا" كان أمراً غير مقبول لدى الشعب. (Savranskaya, 2020a, p. 102)

وسافر جورباتشوف لاحقاً إلى أوروبا الغربية واشترك في العديد من الاجتماعات مع ممثلي الأحزاب الشيوعية في كل من بلجيكا وفرنسا وإيطاليا، والذين طوروا بدورهم، بعد عام ١٩٦٨، اتجاهاً ناقداً للحزب الشيوعي السوفيتي كما طوروا مجموعة من الأفكار الديمقراطية الاجتماعية social-democratic عرفت باسم الشيوعية الأوروبية، والتي فتنت جورباتشوف لاسيما الأفكار الإيطالية المتأثرة بأنطونيو جرامشي. بل إن البعض أكد في كتاباته أن السياسة الخارجية لجورباتشوف بعد ذلك جاءت متأثرة إلى حد كبير بتعاليم جرامشي. (Savranskaya, 2020a, p. 103)

وعندما عين جورباتشوف سكرتيراً للشؤون الزراعية، وجد نفسه تحت حماية ورعاية يوري أندروبوف Yori Andropov مدير ال KGB آنذاك، والذي كان يعد جورباتشوف لقيادة الاتحاد السوفيتي، ومن الجدير بالذكر أن أندروبوف كان من دعاة الإصلاح، أي إصلاح النظام السوفيتي. (Savranskaya, 2020a, p. 103)

تم اختيار ميخائيل جورباتشوف كسكرتير عام في ١٩٨٥. (Bisley, 2012, p. 288) وعندئذ بدأ في التراجع الثوري عن المؤسسات والمبادئ الستالينية، وتم إحلال مبادئ أخرى لا تتعلق مباشرة بالليبرالية بحد ذاتها ولكن كانت الليبرالية بمثابة القاسم المشترك لتلك المبادئ. (Weber, 2001, p. 111) ومن ثم ظهر "الفكر الجديد" لميخائيل جورباتشوف في فترة عانى منها الاتحاد السوفيتي من أزمة سياسية واقتصادية في الداخل، (Jackson &

(Sorensen, 2013, p. 365) أما في مجال السياسة الخارجية، فقد أراد جورباتشوف إنهاء الحرب الباردة مع الغرب، وفتح الدولة على العالم. (Zubok, 2020, p. 81)

قدم جورباتشوف فكرة الإصلاح بدايةً من العام ١٩٨٧، ولكن الحزب كان قد عطل هذه الإصلاحات الاقتصادية حتى يونيو ١٩٨٧. وفي ١٩٨٨ أعلن أفكاره عن سوفييت جديد يحتل فيه الحزب الشيوعي دوراً ثانوياً، وفي مارس ١٩٩٠ تم انتخاب جورباتشوف رئيساً للاتحاد السوفيتي الأمر الذي سمح له بمتابعة سياساته، (Hardy, 2022, p. 12) فقد دفع جورباتشوف بالإصلاحات التي أطاحت تماماً بدور الحزب في إدارة الدولة. لقد كان يتمتع بالمرونة التي جعلت منه سياسياً بارعاً. (Kaiser, 1991, p. 163)

عندما أصبح جورباتشوف السكرتير العام للحزب الشيوعي، لم يكن لديه خطة تفصيلية للإصلاح. ولكن تمثلت خطته في عدة أولويات أو نقاط تهدف إلى إنهاء سباق التسلح كما تهدف إلى سحب القوات السوفيتية من أفغانستان بالإضافة إلى الإصلاح الاقتصادي. وجدير بالذكر أن هذه الإصلاحات لاقت معارضةً من جانب البعض. وقد تبلور فكر جورباتشوف في البريسترويكا في صورة: الفكر الجديد لدولتنا وللعالم Perestroika: New Thinking for Our Country and the World (Savranskaya, 2020a, p. 103) تضمن ذلك التأكيد على ضرورة انخراط روسيا في المؤسسات الدولية. (Cucciolla, 2020, p. 14)

لقد كان جورباتشوف مدفوعاً بسماته الشخصية، التي تأثرت بالستالينية والمجاعة والحرب، ومن ثم اجتثاث الستالينية. وعلى الرغم من أن فكرته الأساسية كانت إصلاح الاقتصاد وإنهاء سباق التسلح، إلا أن ذلك استدعى تحويل النظام السياسي في الداخل بأكمله. وبذلك، لم يكن التفكير الجديد لجورباتشوف بمثابة الخطة الشاملة للتحويل الديمقراطي، بل لم يكن يتعدى برنامجاً للتعدد الليبرالي، أو بكلمة أخرى كان تحولاً ليبرالياً من أعلى، أو إحلال رؤية ليبرالية في مجتمع غير ليبرالي. ومن خلال حملة الشفافية "جلاسنوست" والتحول الديمقراطي، كان للتفكير الجديد نتائج من أهمها: إنهاء الحرب الباردة بحلول ١٩٩٠، إجراء انتخابات، وإنهاء الأيديولوجية الشيوعية وبناء دولة ديمقراطية. ولكن ذلك كله انتهى عندما أجرت الحكومة الروسية إصلاحات اقتصادية هيكلية. (Cucciolla, 2020, p. 14)

أضف إلى ذلك تغير موقفه من الدين؛ فالأيديولوجية السوفيتية كان لها موقفاً عدائياً لكل الأديان بالإضافة إلى أن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية سابقاً كانت مركزاً للقوة الثقافية ورمزاً للنظام القديم، مما جعلها تمثل تهديداً للنظام البلشفي في أوائل القرن العشرين. تغير كل ذلك مع إصلاحات جورباتشوف، فسمح بظهور القساوسة في أجهزة الإعلام،

وتسامح مع التبشير. (Magstadt, 1989, p. 3) كما أعاد جورباتشوف العلاقات مع بابا الفاتيكان.
(McLaughlin, p. 179)

ما هو موقف جورباتشوف من الشيوعية؟

لم يفقد جورباتشوف إيمانه بالشيوعية خلال كل ذلك، ولكنه -على حد قول البعض- أعاد تعريفها. فقد أعلن في مجلة التايمز ١٩٩٠ عن معنى الشيوعية فقال: "لتكون شيوعياً فإن ذلك يعني ألا تكون قلقاً مما هو جديد، وأن ترفض الطاعة لأي دوجمائية، وأن تفكر بشكل مستقل، وأن تُخضع الأفكار للاختبار من خلال السلوك السياسي لمساعدة الشعب الكادح على معرفة طموحه وآماله وقدراته. أعتقد أن تكون شيوعياً اليوم تعني أن تكون ديمقراطياً". وقال: "لقد حان الوقت لوضع اللينينية جانبا". (Kaiser, 1991, pp. 163,164)

لقد كانت رؤية جورباتشوف تتمثل في أن الكل يستحق عالماً أكثر أمناً، وأن الاختلافات الأيديولوجية لا ينبغي أن تؤثر على العلاقات الدولية ولا أن تُبنى عليها السياسات الخارجية للدول. واعتقد جورباتشوف أن نسقاً من دول تنتمي إلى نظم اجتماعية مختلفة هو أمر يمكن تحقيقه، وأن القطبين الأمريكي والسوفيتي يمكنهما الاتفاق على سياسات كبرى تغطي العالم بأسره لتحقيق النفع للبشرية. (Brar, 1994, p. 1466)

من أين جاءت أفكار جورباتشوف الليبرالية؟

كان جورباتشوف يؤمن بمقولة الفيلسوف اليوناني المفضل لديه هيراكليطس الذي قال: "كل شيء يطفو، كل شيء يتغير". وقد عبر جورباتشوف عن ذلك في مناسبات عديدة ليبرر أو ليضفي على سياساته طابعاً عقلانياً. تلك السياسات التي كانت تعتبر سابقاً تراخياً وخيانة للاتحاد السوفيتي. (Radchenko, 2019, p. 33)

ومن إحدى الفترات الهامة التي شكلت لدى جورباتشوف رؤيته الليبرالية تلك السنوات الخمس التي قضاها في جامعة موسكو. قال عنها أنها السنوات التي انتقل فيها من مؤمن بالشيوعية إلى مفكر ناقد، حيث قارن المحتوى الأيديولوجي للمحاضرات النظرية بتجارب حياته الواقعية. قال: "لم تكن معارضين لمعنى كلمة شيوعية، ولكننا كنا أنصاراً لفكرة تجديد الاشتراكية الحقيقية". لقد استفاد جورباتشوف من المحاضرات ومن القراءات في الفلسفة الأوروبية والسوفيتية، ومن دراساته القانونية، ومن المناقشات مع زملائه من أصحاب الفكر الليبرالي. (Savranskaya, 2020a, p.)

وبذلك كان جورباتشوف معارضاً للقومية العدوانية Aggressive nationalism وضد استخدام القوة بوجه عام "مع التحفظ". وكان ضد السلطوية بطبيعته، في ١٩٨٨، أنهى جورباتشوف سيطرة الحزب على الاقتصاد، وزاد من نفوذ وزارة الصناعة. ولكن كانت النتيجة غير المخطط لها هي ازدياد حدة المشاكل بسبب القابلية و الرغبة في زيادة استهلاك السلع، وأدى عجز الميزانية إلى أزمة مالية واقتصادية في النظام السوفيتي. وكرد فعل لهذه الأزمة سمح جورباتشوف في ١٩٨٩ بعملية التحول إلى الليبرالية السياسية، وشهد السوفيت ولأول مرة انتخابات شبه حرة. (Zubok, 2020, pp. 81,82) فأعلن جورباتشوف عن إجراء انتخابات لإعادة هيكلة الإطار المؤسسي في الدولة، والتخلص من القوى السياسية التي لا يمكن السيطرة عليها. (Hill, 2005, p. 41)

كان من نتائج سياسات جورباتشوف انهيار الشيوعية والاتحاد السوفيتي ، فالتحول الديمقراطي في النظام السياسي بما يشمله ذلك من نظام متعدد وتبني أسلوب الانتخابات الحرة، وتحرير الاقتصاد، بما يشمله ذلك من خصخصة القطاع العام أدى إلى عدم استقرار الدولة، كما أدى إلى توقع اضطراب الرئيس إلى التصرف بعنف مع تلك التحديات يشمل ذلك حركات الانفصال والأزمة الاقتصادية. أضف إلى ذلك استحداث منصب الرئيس في روسيا، والتي كانت مؤسسة جديدة آنذاك لم يتحدد دورها مسبقاً لعدم وجود خبرة في القيادة الديمقراطية، الأمر الذي سمح بظهور السمات الشخصية لجورباتشوف في القيادة. (Semenova & Winter, 2020, p. 814)

ولكن أفكار جورباتشوف الليبرالية كانت تفرض من أعلى، أي كانت ليبرالية في مجتمع غير ليبرالي. وفي النهاية أدت سياسات جورباتشوف من بيروسترويك وجلاسنوست إلى تفكك الاتحاد السوفيتي. (Savranskaya, 2020a, p. 98) كانت النتيجة خسارة مركز الاتحاد السوفيتي في أوروبا ومن ثم قوة جورباتشوف السياسية، وأخيراً الاتحاد السوفيتي نفسه. (Hardy, 2022, p. 9)

كان هذا على الصعيد الداخلي، أما في مجال السياسة الخارجية فيمكن القول أنه وبوجه عام كانت ليبرالية جورباتشوف في السياسة الخارجية من أكثر أفكاره تماسكاً وشمولاً. وكان مفهومه عن السياسة الخارجية يمنح الأولوية للأداة الدبلوماسية والمؤسسات الدولية عوضاً عن الأداة العسكرية واستخدام القوة. وبدلاً من محاولة اللحاق بالولايات المتحدة في سباق التسلح، بادر باقتراح إجراء تخفيض جذري للتسلح. وكان ذلك من وجهة نظره أمراً يمنح الاتحاد السوفيتي سلاماً وفرصة للاستثمار في الإصلاح الاقتصادي، بالإضافة إلى سحب القوات السوفيتية من أفغانستان، ودعا كل من ريجان ثم بوش للمفاوضات لحل المشكلات المتعلقة بالحرب الباردة. (Savranskaya, 2020a, p. 104)

تمثلت نتائج ذلك في أنه قد تم توحيد ألمانيا في ١٩٩٠ وقبل الاتحاد السوفيتي هذا الاتحاد إضافة لانضمام ألمانيا الموحدة إلى الناتو. (Hardy, 2022, p. 89)

(ب) العامل الموضوعي: التأثير على صورة النسق الدولي.

كان للنظام السياسي السوفيتي تصوراً محدداً للعالم الخارجي القديم، مضمونه أن القوى الرأسمالية القديمة هي قوى معادية بالضرورة تبعاً للتناقض القائم بين نظمها الاجتماعية ونظم الاتحاد السوفيتي. وتحدد تصور النظام السوفيتي للعالم الخارجي في أيديولوجية النظام ذاته، وفرض بهذا الوصف على قيادات السوفيت الذين ينحصر دورهم في مجال السياسة الخارجية في مجرد اختيار الأساليب -الأدوات- الاختيار بين الدبلوماسية أو الاستراتيجية، أو تغيير أساليب التكتيك على مقتضى ظروف الواقع ودون المساس بالهدف النهائي المحدد في أيديولوجيات النظام السياسي. (بدوي & مرسي, ١٩٩٢, p. 215)

في البداية، كان أداء الاتحاد السوفيتي جيداً وبدا قوياً، حيث اكتسب الكثير من القوة لكونه منتصراً في الحرب ضد الفاشية. (بوزان, ٢٠٢٣, p. 190) ولكن سبعينيات القرن العشرين، أظهرت فشل الاقتصاد السوفيتي في إنتاج الكثير من السلع الاستهلاكية، وبخلاف القطاع العسكري، فشل في الابتكار ومواكبة التقدم التكنولوجي في قطاعات أخرى. لقد انخفض الناتج المحلي الإجمالي للاتحاد السوفيتي، الذي كان في العام ١٩٧٠ أقل قليلاً من نصف مثيله في الولايات المتحدة إلى الثلث بحلول العام ١٩٨٠، ومع ركود الاقتصاد السوفيتي خلال الثمانينيات، انخفض الناتج المحلي الإجمالي إلى أقل من السبع بحلول العام ١٩٩٠. وكان ذلك مشابهاً إلى حد ما مع القطاع السياسي أيضاً. (بوزان, ٢٠٢٣, pp. 189,190) (Cohen, 2004, p. 459)

كانت القطبية الثنائية حقيقة ولكنها كانت غير متساوية، وباستثناء القطاع العسكري، كانت بقية القطاعات تشهد حالة عدم تكافؤ على نحو متزايد. (بوزان, ٢٠٢٣, p. 193) لقد بدأ الاقتصاد السوفيتي في التدهور منذ ١٩٧٨ وبدا أن حماية الموقف الجيوبوليتيكي للدولة على المحك. ولذلك قرر جورباتشوف إجراء الإصلاحات التي كان من شأنها إصلاح الأوضاع الاقتصادية للدولة وللمجتمع السوفيتي. كان العنصر الأساسي للبرنامج يكمن في الإيمان بأن بيئة دولية سلمية بمثابة ضرورة للاستقرار الداخلي، حيث بدأ جورباتشوف برنامجه لإصلاح السياسة الخارجية. (Bisley, 2012, p. 288) فكان ذلك بمثابة التصور لمضمون المصلحة القومية السوفيتية في تلك المرحلة.

ومن ذلك أن سأل جورباتشوف سؤالاً في ١٩٨٥: ماهي السياسة الخارجية التي نحتاجها حتى نحقق السياسات الداخلية؟ وفي فبراير ١٩٨٧ في مؤتمر السلام الدولي في موسكو عبر عن هذه الفكرة بشكل أكبر فقال: "تتحدد سياستنا الخارجية وبشكل أكبر من السابق من خلال سياساتنا الداخلية الرامية إلى تحقيق مصالح دولتنا. ولذلك نحتاج إلى سلام أكثر استقراراً، قدرة أكبر على التنبؤ، واتجاه لبناء علاقاتنا الدولية". (Adomeit, p. 235)

وفي ١٩٨٨، كتبت مسودة خطاب جورباتشوف في الأمم المتحدة والتي تضمنت إعلان خطته حول الفكر الجديد للعالم. وقصد جورباتشوف تدعيم أفكاره بالأفعال لإظهار "نحن الجديدة" من خلال مبادرة منفردة لسحب القوات من أوروبا الشرقية ومنح دول أوروبا الشرقية حرية الاختيار. وكان هذا الخطاب بمثابة إنهاء للحرب الباردة، ومقدمة لنسق دولي قائم على مبادئ الديمقراطية وعدم العنف "عدم اللجوء إلى القوة في السياسة الخارجية". (Savranskaya, 2020a, p. 104)

وبذلك يمكن القول أنه منذ وصول جورباتشوف إلى السلطة تغيرت صورة التفاعل الدولي فيما يتعلق بالحد من الأسلحة أو سباق التسلح بين القوى العظمى، حيث أخذ الأمر منحى مختلفاً. لقد نجح جورباتشوف في مبادرة تمثلت في إعادة تعريف قضايا الأمن الدولي و الحد من الأسلحة أو سباق التسلح، وذلك من خلال التحركات التالية: (١) الانتقال إلى سياسة واضحة تقضي بعدم المواجهة مع الغرب والولايات المتحدة، بل والتعاون في التعامل معهم. (٢) تبني سياسة عقلانية واستراتيجية عسكرية دفاعية - على عكس السابق - والإعلان الصريح عن النية المنفردة في تخفيض أحادي وجذري للقوة العسكرية السوفيتية. مثلت هذه الحركة الثورية إخراجاً للأفكار الأمريكية. لأمر الذي دفع الولايات المتحدة لقبول ما لم يكن مقبولاً في الماضي؛ معاهدة خفض التسلح. (Fedorenko, 1993, p. 49)

أهداف جورباتشوف في مجال السياسة الخارجية:

هدف جورباتشوف إلى الحد من التسلح، مصرحاً عن تقليص أحادي - من جانب الاتحاد السوفيتي - مما دفع بالولايات المتحدة إلى التعجيل بنفس الخطوة. (Brar, 1994, p. 1466) كان الهدف السوفيتي من تخفيض التسلح بسيطاً: تغيير السياسة الداخلية^١ والخارجية لمواجهة احتياجات الدولة، تخفيض التكلفة السياسية والعسكرية لتهدئة البيئة الدولية، وتركيز الجهود لحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية. (Fedorenko, 1993, p. 49) أضف إلى ذلك تغير لغة الإعلام السوفيتي منذ البيروسترويكا. (Konzhukov, 2015, p. 240)

^١ جدير بالذكر أن جورباتشوف قد واجه تهديد حقيقي من اليمين السوفيتي ومن العديد من المؤسسات السوفيتية.

وبعد أقل من شهر من تسلمه السلطة أعلن جورباتشوف في أبريل ١٩٨٥ التجميد العاجل مدته ٦ أشهر للصواريخ في أوروبا، تنتهي في نوفمبر إذا لم يستجب الناتو بالمثل. وفي أغسطس أوقف الاختبارات النووية من جانب واحد، كما اقترح تخفيض ٥٠٪ من الأسلحة النووية الروسية وحظر أسلحة حرب الفضاء، الأمر الذي فتح الباب لفرنسا وإنجلترا بمحادثات لفعل المثل. (Brar, 1994, p. 1466)

بدأت المجموعة الثانية من مبادرات جورباتشوف في مارس ١٩٨٧ عندما وضع مقترحات سوفيتية بشأن الأسلحة متوسطة المدى على طاولة مفاوضات الحد من التسلح في جنيف. وفي يوليو أعلن جورباتشوف دعمه إزالة الأسلحة النووية في أوروبا وآسيا، وكانت نتيجة ذلك توقيع معاهدة INF. وفي مارس ١٩٨٨ اقترح تجميد سباق التسلح على مستوى القوات البحرية في البحر المتوسط، ومن ثم التوقف عن استخدام القواعد البحرية باتفاق مع الولايات المتحدة في مقابل إزالة القواعد الأمريكية في الفلبين. أضف إلى ذلك إعلانه في ديسمبر في الأمم المتحدة قراراً أحادياً بسحب ٥٠,٠٠٠ جندي من أوروبا الشرقية، الأمر الذي أدى إلى توقيع معاهدة CFE. (Brar, 1994, p. 1466)

وفي العام ١٩٨٩، وقف الاتحاد السوفيتي صامتاً أمام تحول دول شرق أوروبا عن الشيوعية. ومثل انهيار جدار برلين رمزاً لنهاية الحرب الباردة حيث أعيد توحيد ألمانيا في ١٩٩٠. سمح جورباتشوف بكل هذه الخسارة في القوة السوفيتية في المجال الخارجي في سبيل التركيز على إعادة البناء في الداخل السوفيتي تحت سياساته البيروسترويكا "إصلاح اقتصادي" والجلاسنوست "الانفتاح في الحوار السياسي". (Pevehouse, 2014, p. 33) الأمر الذي وضع سياسات جورباتشوف موضع الانتقاد. (Oustanova–Stjepanovic, 2020, p. 24)

كانت نتيجة ذلك أن تغيرت اتجاهات ريجان بشكل جوهري تجاه الاتحاد السوفيتي خلال إعادة انتخابه في العام ١٩٨٤. وبعد اجتماع جنيف في أواخر ١٩٨٥، أصبح أكثر تقبلاً لبرنامج الحد من التسلح الذي أعلنه جورباتشوف ومعاً وقعا مذكرة التفاهم. وتضمنت إصلاحات السياسة الخارجية حداً من التسلح النووي، والتوجه نحو مبدأ سياسة عسكرية دفاعية، وتبنى موقفاً ليبرالياً تجاه النسق الدولي - حيث التركيز على المؤسسات وحقوق الإنسان وحكم القانون الدولي - ودعم الثورات التي تحدث في النظم الشيوعية. (Bisley, 2012, p. 288) وبذلك بدأت عملية الحد من الأسلحة النووية بين كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في عهد جورباتشوف، من خلال عملية START. (Hanson, 2012, p. 175)

رؤية جورباتشوف لأوروبا:

لقد كان جورباتشوف نفسه معجباً بما حققته أوروبا الغربية منذ أربعينيات القرن العشرين، وبالجماعة الأوروبية EC European Community خاصة بما حققته من تكامل بعد عقود من تفتت القارة، الأمر الذي يفسر الدور الذي لعبته EC-EU في إقناع جورباتشوف بالتخلي عن أوروبا الشرقية، وهو أمر هام ويستحق الدراسة لما له من أثر على أحداث ١٩٨٩. لقد كان جورباتشوف معجباً بنجاح التحول الذي حدث في أوروبا من خلال تجسيد "الاتحاد الأوروبي". (Cox & Campanaro, 2016, p. 59)

كانت تتمثل رؤية جورباتشوف في إمكانية التحول إلى عالم الليبرالية الدولية المتناغمة في صورة اعتماد متبادل مبني على القانون الدولي والمنظمات الدولية، عالم تُحل فيه الصراعات بالمفاوضات. وبذلك ووفق هذه الرؤية، ستحول الكتل العسكرية للحرب الباردة نفسها تدريجياً إلى كيانات سياسية، وسيتم دمج أوروبا في بنى أمنية أوروبية جديدة. لقد أطلق جورباتشوف على هذه الرؤية: "البيت الأوروبي المشترك". أسس جورباتشوف هذه الفكرة على أربعة عناصر هي: الأمن الجماعي، التكامل الاقتصادي التام، حماية للبيئة و البعد الإنساني متمثلاً في احترام حقوق الإنسان في كل دولة. (Kilpatrick, 2020, p. 49) (Savranskaya, 2020a, p. 105)

لقد رأى جورباتشوف أن يغير العالم ومكانة موسكو في ذلك العالم، بحيث يلعب الاتحاد السوفيتي دوراً محورياً في أوروبا جديدة في فترة ما بعد الحرب الباردة، ولتكون موسكو بمثابة قلب أوروبا. ومن الجدير بالذكر أن الرؤية الخاصة "بالهوية الأوروبية" لم تكن جديدة على الاتحاد السوفيتي ولم يكن جورباتشوف أول قائد يفكر في ذلك، فقد كان بريجنيف، على سبيل المثال، ممن كان لهم هذه الرؤية الأوروبية، ولكن جورباتشوف قد ذهب إلى أبعد من ذلك منهيًا - في سبيل هذه الفكرة - الحرب الباردة. (Radchenko, 2019, p. 33)

وبذلك كانت رؤيته لأوروبا تتمثل في هوية أوروبية جديدة تنبع من القيم الإنسانية وحكم القانون. وكما صرح: "الفكرة هي إعادة بناء النظام الدولي في أوروبا بشكل يضع القيم الأوروبية المشتركة في المقدمة ويسمح بتبديل ميزان القوة وتحويله إلى ميزان المصالح". ومثلت هذه الرؤية أولوية في سياسته الخارجية تجاه أوروبا، كما شرحت سبب سماح الاتحاد السوفيتي بل وتشجيعه التحول السلمي في أوروبا الشرقية، والاقتران بسحب القوات السوفيتية من مواقعها الأوروبية وعدم معارضة عملية توحيد ألمانيا. لقد كانت أولوية جورباتشوف فيما يتعلق بأوروبا تتمثل في إمكانية تكامل

الاتحاد السوفيتي في "عائلة الشعوب الديمقراطية، والعودة إلى أوروبا". ولكن ما اكتشفه جورباتشوف لاحقاً هو أن الشركاء في أوروبا الغربية لم يكن لديهم ذات الرؤية. (Savranskaya, 2020a, p. 105)

وفي ربيع ١٩٩٠، استطاع جورباتشوف أن يرى أن سياسته حول أوروبا الجديدة قد ذهبت سدى، فاتجه إلى الولايات المتحدة ليطلب منها الانضمام إلى الناتو. قال جورباتشوف لجيمس بيكر في مايو ١٩٩٠: "أنت تقول أن الناتو ليس موجهاً ضدنا، وأنه هيكل دفاعي. لذلك فإنني أقترح الانضمام للناتو، ففي الوضع الراهن، لا أعتقد أنكم ستتركونا معزولون بهذه الصورة". ومن الجدير بالذكر أيضاً أن فكرة انضمام الاتحاد السوفيتي للناتو لم تكن بالجديدة، بل ترجع إلى العام ١٩٥٤. ولكن جورباتشوف قد رغب في الحصول على مكانة أو على الأقل الحصول على دور يشارك فيه عالمياً، الأمر الذي لم يحدث. (Radchenko, 2019, p. 33) (Taubman, 2017, p. 1420)

تم تحديد مؤتمر ال G7 في يوليو في هوستن Houston برئاسة الولايات المتحدة، وعبر جورباتشوف آنذاك عن الرغبة في مساعدة مالية من الولايات المتحدة. ولكن الولايات المتحدة عارضت منح المساعدات بسبب الحاجة إلى رؤية الإصلاحات أولاً. كان بوش حذراً من منح المساعدات. كما كانت دول ال G7 حذرة أيضاً. (Kilpatrick, 2020, p. 50)

لقد كان الانهيار السريع للامبراطورية السوفيتية في أوروبا الشرقية، فور أن رفع ميخائيل جورباتشوف خطر التدخل، بمنزلة الضربة القاضية للسياسة الخارجية السوفيتية، وسرعان ما تبع ذلك تفكك الاتحاد السوفيتي نفسه. وبحلول منتصف الثمانينيات، أصبح من الواضح على نطاق واسع أن الاتحاد السوفيتي قد خسر الحرب الباردة. (بوزان, ٢٠٢٣, p. 191)

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يحسب لجورباتشوف إنهاؤه لمبدأ برجنيف بسياسة التدخل في دول أوروبا الشرقية. كان جورباتشوف معارضاً لاستخدام القوة، ولن يُعْمَد نظاماً فاشلاً بواسطة تدخل عسكري. ومن جهة أخرى يرى بعض المحللين أن خياراته في أوروبا الشرقية كانت محدودة، لاسيما وأن هذه الدول كانت قد استنزفت الأموال السوفيتية على مدى عقود. (Radchenko, 2019, p. 30) فمن المعلوم أن الاتحاد السوفيتي كان قد تورط أيضاً خلال ثمانينيات القرن العشرين في أفغانستان حيث تدخلت القوات السوفيتية في ديسمبر ١٩٧٩ بدعوى أن الحكومة الأفغانية المناصرة للماركسية قد طلبت منها ذلك. (جنسن, ١٩٨٩, p. 1) وهُزم الاتحاد السوفيتي على نحو مهين وأجبر على

الانسحاب في العامين ١٩٨٨ و ١٩٨٩، كما خسر الاتحاد السوفيتي مصر قبل ذلك في ١٩٧٣. (بوزان، ٢٠٢٣، p. 197)

سمى البعض عام ١٩٨٩ بعام "الضياع"، لأنه كان عام التخلي عن حلف وارسو وعن الكوميكون لصالح التعاون مع الدول الغربية. (Adomeit, pp. 463,469) أضف إلى ذلك أن القوميات السوفيتية التي كانت تفوق المائة قومية قد رغب بعضها في الحصول على الفرصة التي قدمتها الجلاسنوست والتحول الديمقراطي، فانصلت دول مثل ليتوانيا وأوكرانيا ومولدوفا وجورجيا وغيرهم. (Hill, 2005, p. 41)

لقد مثل انهيار سور برلين في ١٩٨٩ إنذاراً بالمزيد من الفوضى، وكان جورباتشوف راغباً في قيادة الدولة من خلال البيروسترويكا دون إحداث حرب أهلية. (Savranskaya, 2020b, p. 100) ومن ذلك أن عُقدت مقابلة بين جورباتشوف وجورج بوش في مالطا في ديسمبر ١٩٨٩، بعد أسابيع قليلة من انهيار حائط برلين. وُصفت هذه المقابلة بأنها اللحظة التي انتهت فيها الحرب الباردة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ومع اعتراف الطرفين بانتهاء الحرب الباردة إلا أن كان لكل منهما رؤى مختلفة فيما يتعلق بما يعنيه ذلك للعالم، أي صورة النسق الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة. (Radchenko, 2019, p. 31)

وظهر اختلاف الرؤى في مؤتمر مالطا متمثلاً في رؤية الولايات المتحدة أن انتهاء الحرب الباردة مثل فرصة لها في فرض قيمها، ومن ذلك قول جورباتشوف لرئيس الوزراء الكندي: "إن الولايات المتحدة تسعى إلى فرض قيمها على العالم، عالم جديد وقيم جديدة". وذلك مباشرة بعد لقائه ببوش. كما صرح لرئيس الوزراء الإيطالي: "أن الولايات المتحدة لا يزال لديهم رغبة قوية في فرض رأيها على العالم وإملاء مصالحها على الغير، وأن الأمريكيين يحاولون إقناع الرأي العام الأمريكي في الداخل أن الولايات المتحدة قد ربحت الحرب الباردة، وبالتالي فإن سياساتهم كانت صحيحة وناجحة"، في حين كان جورباتشوف يرى أنه لا يوجد رابح أو خاسر في انتهاء الحرب الباردة، بل إن الحرب الباردة هي نفسها من خسرت وبالتالي انتهت. وكان هذا الاختلاف في التوقعات بين الطرفين سبباً لحدوث مشكلات في مستقبل العلاقات بين الدولتين. (Radchenko, 2019, p. 31)

يرى البعض أن تبني جورباتشوف لمفاهيم جديدة في السياسة الخارجية إنما كان يعني التخلي عن الأيديولوجية الماركسية-اللينينية أكثر من كونها إبداعاً من جانبه أو اتجاهاً خلاقاً من جانبه. وظهر جلياً أن هذه التغيرات إنما تعني الهجرة الأيديولوجية نحو الغرب. حتى مع وجود تصريحات تعني عكس ذلك. فقد صرح جورباتشوف أن الإتيان

بسياسة خارجية غير متوازنة إنما يضر بمكانة الاتحاد السوفيتي وبالشيوعية بوجه عام، ولكن الواقع كان يُظهر عكس ذلك. (Adomeit, p. 259)

تقييم سياسات جورباتشوف:

يقارن البعض بين سياسات جورباتشوف الداخلية والخارجية، ويخرجون بنتائج عن السياسة الخارجية، منها؛ أولاً: أن سياساته الخارجية كانت أكثر اتساقاً وتماسكاً. ثانياً: الاتساق بين الفكر الجديد والممارسة "السياسات نفسها"، مثل تقليل الالتزامات دولياً أو عالمياً، سحب القوات والمعدات، إعلان إنهاء سباق التسلح، التقليل من المخاطر السوفيتية وحظر تطبيق الأيديولوجية، والتعامل بإيجابية في الشؤون الدولية. ثالثاً: على عكس التأثير السلبي للسياسات داخلياً، كانت السياسة الخارجية أقل تأثيراً. رابعاً: كان الهدم أسهل من البناء، فكان من السهل في مجال السياسة الخارجية تقليل التنافس النووي والقوات المسلحة خارجياً. (Adomeit, p. 259)

فعلى الرغم من تمسك جورباتشوف بالهوية الشيوعية، إلا أنه كان يدعو لخلق اتحاد سوفيتي أفضل وشيوعية أفضل. ولكن الشيوعية لم تكن شيئاً تمسك به الشعب السوفيتي، بل إن الاتحاد نفسه لم يكن مقبولاً من كثيرين لاسيما المواطنون من غير الروس. (Kaiser, 1991, p. 164)

أضف إلى ذلك التضخم في الأسعار لاسيما أسعار المواد الغذائية، الأمر الذي أدى إلى ثورة بولندا في العام ١٩٨٠. ومن الجدير بالذكر أن فترة السبعينيات كانت قد شهدت انهيار نظم سياسية مثل أسبانيا والبرتغال واليونان، تبع ذلك انهيار النظم في الأرجنتين والبرازيل وكوريا الجنوبية في الثمانينيات، والمطالبة باتحادات تجارة حرة ومظاهر ديمقراطية. وفهم جورباتشوف أن لا مجال للعودة إلى مبادئ برجنيف في السياسة الخارجية. (Hough, 1990, p. 646) وعلى هذا الأساس كانت رؤيته لمضمون المصلحة السوفيتية.

لقد تحقق الانهيار الكامل للاتحاد السوفيتي بعد شهور قليلة من حرب الخليج الثانية. وانفصلت ١٥ دولة عن الاتحاد السوفيتي لتتحول إلى دول ذات سيادة. وعانت تلك الدول في التسعينيات من الانهيار الاقتصادي والمالي، التضخم، الفساد، الحروب وضعف القدرات العسكرية، وذلك كله على الرغم من أنها بقيت ديمقراطية سياسياً. (Goldstein & Pevehouse, 2014, p. 15)

لم يتفق الباحثون على إجابة محددة لنهاية الحرب الباردة. قال بعضهم أن الولايات المتحدة دفعت الاتحاد السوفيتي إلى التراجع في سباق التسلح. رأي آخر كان يقضي بأن الاتحاد السوفيتي كان يعاني من جراء الضغوط الداخلية

لمدى عقود من جراء الضعف حيال الضغوط الخارجية. ويؤكد آخرون أن الاتحاد السوفيتي انهار دون جهد من الولايات المتحدة كعدو ولكن كان هدف جورباتشوف الدفع قدماً بشرعية الحكومة السوفيتية تجاه الشعب السوفيتي. (Pevehouse, 2014, p. 33)

تعد ثورة جورباتشوف أحد أهم العلامات الفارقة في القرن العشرين. هذه الثورة بدلت صورة النسق الدولي وقدمت تغييراً في طبيعة العلاقات الدولية، وأنهت التهديد السوفيتي، وأنهت الصراع الأمريكي السوفيتي العالمي. أنهت الامبراطورية السوفيتية، وأصبح سباق التسلح أمراً غير منطقي. (Fedorenko, 1993, p. 50)

لقد اعتلى جورباتشوف سدة الحكم في العام ١٩٨٥ في دولة قطب تعداد سكانها ٣٠٠ مليون نسمة وهي القوة العسكرية الثانية عالمياً. (Hardy, 2022, p. 5) وانتهت الحرب الباردة بين أواخر الثمانينيات والعام ١٩٩١، وذلك بدءاً من محاولة ميخائيل جورباتشوف للاضطلاع بنسخته الخاصة من الإصلاح والانفتاح، مروراً بتفكك الامبراطورية السوفيتية في أوروبا الشرقية، وانتهاءً بتفجر وضع الاتحاد السوفيتي من الداخل لينقسم إلى ١٥ دولة جديدة. (بوزان, ٢٠٢٣, p. 216) لقد غير جورباتشوف صورة النسق الدولي في خمس سنوات فقط، أنهى الحرب الباردة التي سيطرت على العالم واستهلكت ثروات الشعوب لنصف قرن تقريباً. (Kaiser, 1991, p. 160)

٢- دور بوتين في تحديد مضمون المصلحة القومية لروسيا الاتحادية: (عودة الصراع مع الغرب)

لم يكن فشل روسيا مابعد السوفيتية في ثورتها الليبرالية فشلاً على المستوى الداخلي فقط، بل ظهر كثير من التغيير على مستوى العلاقات الخارجية أيضاً. (Cucciolla, 2020, p. 6) حيث تذبذبت علاقة الغرب بروسيا وباقي الجمهوريات المستقلة في التسعينيات. فبسبب المشكلات الاقتصادية، وبسبب أن روسيا تحتاج إلى إصلاح هيكلية داخلي أكثر من المساعدات الخارجية، قامت الدول الغربية بتقديم مساعدات محدودة لعمليات التحول الاقتصادي المتعثر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أثارت الحرب في الشيشان ١٩٩٥ و ١٩٩٩ المخاوف الغربية من تزايد دور التوسعيين والقومية الروسية العدوانية. (Goldstein & Pevehouse, 2014, p. 34)

وترتبط عملية نزع الشرعية من الليبرالية في روسيا بالفكر المحافظ، والقيم المحافظة التي وجدت أرضاً خصبة في عقول الكثيرين من الشعب الروسي الذين يخشون التغيير، فظهرت الديمقراطية غير الليبرالية في عهد بوتين. ففي بداية الألفية، كان صعود بوتين بمثابة رد الفعل لحالة عدم التأكد حيث تحول الخطاب السياسي الروسي إلى القومية

والمحافظة، رابطاً بين الليبرالية من جهة والفشل الاقتصادي وحالة الانقسام التي اعترت الشعب الروسي من جهة أخرى. (Cucciolla, 2020, p. 5)

في ذلك الوقت، لم يكن الخطاب المحافظ بمثابة الخطاب الوحيد الأمر الذي أثر على الخيارات السياسية، هذه التعددية والسيولة في القيم داخل الحزب والدولة والمؤسسة الرئاسية وإدارتها وفي الإعلام وحتى الأوساط الأكاديمية، أثر ذلك كله على عملية صنع السياسة للعديد من الفاعلين السياسيين وكذا الخبراء ولاسيما الجهاز البيروقراطي وعلى نفوذ الأخير -الجهاز البيروقراطي- على عملية التحول وأحياناً التخفيف من حدة الشعور الشعبي ومن النغمة الحادة للسياسات الرئاسية. (Cucciolla, 2020, p. 5) وعضواً عن كل القيم والسياسات الليبرالية، تم فرض قيم جديدة تتمثل في "واجب المواطنون تجاه الدولة". (Sheynis, 2020, p. 145)

ما هو موقف بوتين من الليبرالية؟

تراجعت روسيا في عهد بوتين عن ليبرالية النظام العالمي، وأعادت إنتاج آليات وقيم و روايات "خطاب" مطابقة لما كان في القرن الماضي، مثل الاستمرار في البحث عن شرعية القوة، والسيادة والمجال الإقليمي والسياسي، والقومية والموارد الجيوبوليتيكية، والأمن وحماية الثقافة القوة العسكرية والحرب الداخلية والخارجية. ويشهد على ذلك أن نسق العلاقات الدولية ما هو إلا مبارزة صفرية واقعية وهو ما تتخذه موسكو سياسة لها وعودة إلى عالم وستغاليا المبني على أولوية السيادة القومية. ولا مجال للتدخل باسم القيم العالمية ولا مجال " لتغيير النظام السياسي". أصبحت هذه الأيديولوجية المحافظة الجديدة بمثابة العقيدة المشتركة لكل من النخبة السياسية والشعب الروسي على حد سواء. (Cucciolla, 2020, p. 7)

خلال فترته الرئاسية الأولى، عمل بوتين على تحسين الظروف الاقتصادية التي خلفتها فترة التسعينيات، وفي الوقت نفسه حظر/ منع المنافسة السياسية، كما كان له بعض التحركات عسكرية. وفي فترته الرئاسية الثالثة، تبنى بوتين سياسات عسكرية تتسم بالمجابهة في المجال الخارجي، شملت ضم القرم والتدخل في سوريا. (Semenova & Winter, 2020, p. 814)

وصورة الولايات المتحدة السلبية لدى بوتين جعلت تعريفه لمعنى كلمة ليبرالية تعريفاً سلبياً. واعتبر الليبراليون في روسيا بمثابة الطابور الخامس وعملاء الولايات المتحدة. (Zhuravleva, 2016, p. 118) وتحول مصطلح الليبرالية وكل ما هو ليبرالي إلى صورة سلبية في الخطاب والسياسة الروسية الداخلية والخارجية، ومثلت حملة بوتين ضد الليبرالية

اتجاهاً وسلاحاً يصور الليبرالية على أنها مؤامرة وطالت الحملة كل ما يتصل بالليبرالية شأن منظمات المجتمع المدني وأنصار النوع "gender" والدين والعرقيات وكل الأقليات الاجتماعية وبكلمة أخرى؛ طالت الحملة كل ما يتصل بالديمقراطية والليبرالية. (Cucciolla, 2020, p. 9)

أضف إلى ذلك أن مثل بوتين الاتجاه اليميني الشعبي الذي قضى على الليبرالية داخل روسيا، تماماً كما مثل ترامب ذات الاتجاه اليميني الشعبي في الولايات المتحدة، وفي لقاءهما في هلسنكي في يوليو ٢٠١٨، عبر البعض - روبرت كاجان تحديداً- على أنه لقاء بين حليفين لهما مصالح مختلفة ولكن هدفهما مشترك؛ ألا وهو القضاء على العالم الليبرالي الحر الذي أنشأته الولايات المتحدة منذ سبعة عقود. لقد مثلت الشعبية أداة طيعة لخدمة أهداف روسيا المتمثلة في محاولة إضعاف الوجود والقيادة الأمريكية لشبكة التحالفات في أوروبا لاسيما الناتو، وربما -على حد قول البعض- انهيار الاتحاد الأوروبي نفسه. (Hardy, 2022, pp. 91,92) وليس أدل على ذلك من عنوان مقالة روبرت كاجان Robert Kagan: الولايات المتحدة وروسيا ليسا بالحليفين، ولكن ترامب وبوتين كذلك. The United States and Russia aren't allies: But Trump and Putin are (Hardy, 2022, p. 195) بالإضافة إلى حديث بوتين عن الكود الجيني الروسي والروح الروسية الفريدة. (Zhuravleva, 2016, p. 116)

تم انتخاب بوتين مرة أخرى في الانتخابات الرئاسية في العام ٢٠١٨. (Cucciolla, 2020, p. 21) ساعد على صعود نجم بوتين، ذلك الإحباط الشعبي تجاه فشل القيم الليبرالية، كما ظهر مصطلح البوتينية لوصف توجهات وسياسات بوتين (Hanson, 2016, p. 36)

وفيما يلي نحلل كلاً من السمات الشخصية لبوتين كعامل ذاتي "بيئة إدراكية" في تحديد مضمون المصلحة القومية ومن ثم ننتقل إلى العامل الموضوعي "البيئة الحركية" المتمثل في صورة النسق الدولي.

(أ) العامل الذاتي: السمات الشخصية لبوتين.

وصل فلاديمير بوتين للحكم في ٢٠٠٠ ليقدم نموذجاً بديلاً لكل من المحافظين الغربيين والشعبيين على السواء. (Cucciolla, 2020, p. 3) ويرى البعض أن الأيديولوجية المحافظة الجديدة التي لدى بوتين قد بُنيت على إعادة الوحدة السياسية للسلطات وللشعب وذلك في سبيل تخطي الفوضى التي أحدثتها الإصلاحات، بالإضافة إلى العودة إلى التقاليد، والدور المميز للأرثوذكسية وأهميتها في إعادة القيم للشعب، كما بُنيت أيديولوجية بوتين أيضاً على محاربة

النفوذ الغربي المتمثل في منظمات المجتمع المدني والدستورية وحركات حقوق الإنسان على اعتبار ذلك كله بمثابة الأدوات في يد مهندسي سياسات الكريملين. (Cucciolla, 2020, p. 5)

ويحلل البعض شخصية بوتين من مرحلة الطفولة ، فيقول البعض أن بوتين لم يلق الدعم الكبير من عائلته في صغره. وعاصر في شبابه ضغوط النظام السياسي الاشتراكي الشمولي، وتطورت شخصيته في رحاب الخوف من التأثر بالشعور أو التأثير عليه، ووجد التوازن في عمله في أجهزة المخابرات السرية. بعد ذلك حدث أن نجح بوتين سياسياً وعاش في صراعات سياسية. انعكس كل ذلك على سياساته الخارجية التي تمحورت في عدم إظهار الضعف، النرجسية، علو الهمة والذكاء المتقدم. قال عنه كيسينجر في ٢٠٠٠: "على عكس سابقه، ظهر بوتين من عالم الظل لوكالات الأمن، وهذا منحه التزاماً قومياً قوياً وقدرة على تحليل المواقف". (Pursiainen & Forsberg, 2021, p. 279) كما عمل بوتين في ألمانيا منذ أغسطس ١٩٨٥ في عمر ٣٢، بعد تدريب في ال KGB. وعمل أيضاً كمحلل لسياسات دول الناتو. (Adomeit, p. 457) ويلخص البعض حياة بوتين في أنها كانت معادلة صفرية.

وأثارت مسألة ضم أوكرانيا إلى الناتو مشاعر الخوف من الفشل والرغبة في الدفاع عن مجد شخصي، الأمر الذي جعله يؤكد قبوله المخاطرة. وكان تأثير خبراته عليه أنه على قدرة عالية على الموازنة بين الحذر والصبر والتلاعب الحذر "اليقظ" بميزان القوة في العلاقات الدولية. (Pursiainen & Forsberg, 2021, pp. 100,107)

لقد كان بوتين نتاج جهاز أمن سوفيتي، في الوقت الذي وظف فيه الاتحاد السوفيتي العنف والقوة العسكرية ضد الدول المجاورة. مثال ذلك التدخل في الشيشان في منطقة القوقاز. ومن ذلك أيضاً التدخل العسكري في جورجيا ٢٠٠٨ وأوكرانيا، والرفض من قبل G7 والعقوبات التي فُرضت عقب ضم القرم جعلت من بوتين معادياً للغرب لاسيما مع الضغوط من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة عند كل أزمة. ومن ذلك تدخل روسيا في سوريا ٢٠١٥ لمساعدة نظام الأسد في حركة تعارض الدعم الغربي للمعارضة السورية، الأمر الذي يشي بالرغبة في العودة إلى مصاف القوى العظمى. (Alden & Aran, 2017, p. 2)

يميل بوتين إلى السيطرة التي هي أمر بسيط نسبياً بسبب الهيكل السياسي الروسي "النظام السياسي"، وتحسن الحالة الاقتصادية لروسيا بسبب الأسعار المتزايدة للبترول والغاز الروسي. أضف إلى ذلك تحسن الناتج المحلي الإجمالي بشهادة بنك النقد الدولي. وأخيراً، قبول الشعب الروسي لقوة السلطة المركزية. (Semenova & Winter, 2020, p. 824)

كما يميل بوتين إلى إلقاء اللوم على العوامل الخارجية ومثال ذلك موقفه من بسلان Beslan حيث العناصر الخارجية التي تدعم وتساعد الإرهاب. وقال: "إنهم يساعدون على الاعتقاد بأن روسيا -الدولة صاحبة القدرات النووية- تمثل تهديداً وبالتالي لابد من إزالة هذا التهديد. والإرهاب هو بالطبع أحد أدوات تحقيق هذه الأهداف". وأن هدف الغرب هو نزع سلاح روسيا. (Golts, 2016, p. 95)

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يرى البعض بوتين بمثابة القائد العقلاني الذي يتبع ببساطة المصلحة القومية الروسية، إلا أن هناك من يلاحظ نبرة الغضب أو لغة غاضبة في العديد من خطابه. مثل خطاب ميونخ ٢٠٠٧. وهو أمر ينعكس في سياساته الخارجية لاسيما في ضم القرم وغزو جورجيا. (Pursiainen & Forsberg, 2021, p. 230)

يوضح دايسون رأيه في بوتين في العام ٢٠٠١ فيقول: يوحى تحليل عقيدة بوتين السياسية أنه كالحرباء يقلد بيئته، وعلينا ألا نتوقع منه الالتزام بالمعايير حين لا يلتزم بها من يتعامل معه، كما علينا ألا نتوقع منه التمسك بالقواعد مع من ينحرف عن هذه القواعد. وبوجه عام، يمكن لصانع السياسة الثقة بأن المبادرات المحكمة ستأخذ لديه نصيبها من الرعاية، وأن بوتين لا يتخذ في الغالب خطوات متسارعة أو مندفعة أو عاطفية، غير أن صانع السياسة لابد أن يحذر ميل بوتين إلى مبادلة الحسنى بالحسنى والسيئة بمثلاها، وأن يحذر أي انقطاع في أواصر التعاون مع بوتين، لأن نتائجه ستكون صعبة وستستمر طويلاً. (هوتون, ٢٠١٥, p. 184)

كما يرى الغرب بوتين على أنه أستاذ في التكتيك وليس في السياسة طويلة الأجل وفق العبارة القائلة: "هو لاعب جودو وليس لاعب شطرنج". انتشرت هذه العبارة إبان غزو جورجيا ٢٠٠٨، ولكن في أزمة أوكرانيا ٢٠١٤ عُرف بأنه استراتيجي محنك، يريد إعادة بناء الاتحاد السوفيتي. (Dobbs, 2018, pp. 7,9)

(ب) العامل الموضوعي: التأثير على صورة النسق الدولي.

نبأت سياسات بوتين بأن موسكو تسعى لاستعادة مركزها وقوتها في أوروبا. (Cucciolla, 2016, p. 11) وكان السؤال الأساسي: "كيف يترك الاتحاد السوفيتي كل شيء ويذوي بهذا الشكل؟". لقد كان شعور بوتين بأن الاتحاد السوفيتي انتهى وغير موجود سبباً في سياساته الخارجية التي اختلفت تمام الاختلاف عن سياسات جورباتشوف. (Adomeit, p. 461)

لقد كانت المشكلة الكبرى التي واجهت حلف شمال الأطلسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي هي كيفية تعريف دور الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة. لقد وعدت الولايات المتحدة جورباتشوف بعدم توسيع حدود الناتو إلى أوروبا الشرقية، وتحديداً إلى ما بعد حدود ألمانيا الشرقية. ولكن دول أوروبا الشرقية بدأت تطلب الانضمام إلى الناتو، ومن ثم غيرت المنظمة سياساتها وبدأت في التوسع من خلال ضم تلك الدول على اعتبار أن هذا ما تريده دول أوروبا الوسطى والشرقية. وصل الأمر إلى ضم ألبانيا وكرواتيا الأمر الذي أثار التساؤل حول طبيعة علاقة المنظمة - الناتو - بروسيا. (Cox & Campanaro, 2016, p. 229)

كانت رأسمالية روسيا ضحلة وغير قادرة حقاً على توليد الثروة والقوة كالاقتصاد حديث متكامل. لقد كان عدد سكانها يتقلص. وعلى النقيض من العام ١٩٤٥ حينما كانت محاطة بجيران ضعفاء، أصبحت الآن محاطة بدول يبلي معظمها بلاءً حسناً. (بوزان, ٢٠٢٣, p. 290)

وبعد ١٩٩١، تراجع الشعور المتفائل لدى جيل البيروسترويكا، حيث ظهر جلياً أن التحول إلى مجتمع مفتوح لم يعد أمراً معترفاً به، أو لم يعد موجوداً في روسيا ما بعد الاتحاد السوفيتي. ومما لاشك فيه أن فشل الأيديولوجية والسياسة والاقتصاد والثقافة السوفيتية بل والقوة العسكرية السوفيتية قد ترك فراغاً كان من الصعب ملؤه على المدى القصير. (Cucciolla, 2020, p. 3)

وبذلك تحولت النظم الشيوعية في أوروبا إلى النظام السياسي الذي تتبناه الدول الرأسمالية. وكانت أسباب الانهيار معقدة ولا يمكن تفاديها، وتتمثل في : تأثير الغرب لاسيما الولايات المتحدة، الضغط الآليات الداخلية للتغيير التي خرجت عن السيطرة، دور أفراد محددين بعينهم مثل جورباتشوف، دور الأفكار وغير ذلك من العوامل التي لا يمكن حصرها. (Brown & Ainley, 2005, p. 188)

ولكن الليبرالية في روسيا كانت تعتبر ظاهرة من أعقد الظواهر وأكثرها تشعباً وجدلاً. فالقيم والممارسات الليبرالية تصاحب دائماً الغرب ومعروفة بأنها غريبة، مثل الحريات الفردية وحقوق الملكية وحكم القانون، وفي روسيا لا تظهر الليبرالية الاقتصادية مع الليبرالية السياسية في آن واحد، بل لقد صيغ المشروع الليبرالي وفق ظروف داخلية محضة، ظهرت ودارت حول تحديات ومقتضيات التغيير المؤسسي السريع وكذا المعطيات الدولية. (Cucciolla, 2020, p. 1) ولذلك دلالات وأثر ظهر بعد حين.

ففي أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي في العام ١٩٩١، وخلال التسعينيات كانت روسيا تعيش حالة فوضى سياسية واقتصادية، حاولت خلالها العثور على صيغة انتقال من الشيوعية إلى شكل من أشكال الديمقراطية والرأسمالية. لقد انهار اقتصادها وقوتها العسكرية، وكانت قيادتها السياسية ضعيفة. وقد حافظت المفاوضات الجارية مع الولايات المتحدة بشأن تخفيض الأسلحة النووية على بعض الوهم الخاص بتمتعها بوضعها السابق كقوة عظمى، لكن موقف روسيا كان ضعيفاً لأنها لم تستطع آنذاك تحمل أعباء حتى تلك الأسلحة التي تمتلكها. لقد فقدت روسيا مجال نفوذها في أوروبا الشرقية في العام ١٩٨٩. كما شهدت التسعينيات وأوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين إعادة تنظيم هائلة لمناطق النفوذ بين الناتو والاتحاد الأوروبي من جهة وروسيا من جهة أخرى. لقد تراجع نفوذها ولم تتلق المساعدة الاقتصادية المتوقعة من الغرب. (بوزان، ٢٠٢٣، pp. 288,289)

ما هو موقف بوتين من الغرب؟

بانتهاء الحرب الباردة عارض قادة الاتحاد السوفيتي توسع الناتو، واكتفوا بتوحيد ألمانيا. ولكن كان للولايات المتحدة رأي آخر، ففي إدارة كلينتون في منتصف التسعينيات، بدأت الولايات المتحدة في دفع الناتو شرقاً. بدأت الجولة الأولى من التوسع في ١٩٩٩ في جمهورية التشيك، والمجر وبولندا. والجولة الثانية في ٢٠٠٤ وشملت بلغاريا وإستونيا ولاتفيا ورومانيا وسلوفاكيا وسلوفينيا. اعترضت موسكو آنذاك، ففي خلال حملة الناتو على صرب البوسنة في ١٩٩٥، أكد بوريس يلتسن أن: "هذه الحملة هي العلامة الأولى لما يمكن أن يحدث إذا اقترب الناتو من حدود روسيا، فقد تستعر الحرب في كل أوروبا". ولكن روسيا كانت من الضعف آنذاك بحيث لم يرَ قادتها أن في ذلك تهديداً مباشراً لروسيا. ولكن بدأ الناتو يتوسع شرقاً بشكل أوضح، ففي مؤتمر أبريل ٢٠٠٨ في بوخارست، تمت مناقشة ضم جورجيا وأوكرانيا، ودعم بوش الابن هذه الفكرة فيما عارضت كلاً من فرنسا وألمانيا ذلك لما قد يمثله ذلك من تهديد لروسيا. وفي النهاية توصل أعضاء الناتو إلى اتفاق عدم الضم مع إعلان: "أن هذه الدول سوف يتم ضمها للناتو". (Mearsheimer, 2014, p. 3)

وكرد فعل، قامت روسيا بغزو جورجيا في أغسطس ٢٠٠٨ في سبيل منع كل من جورجيا وأوكرانيا من الانضمام إلى الناتو، والحفاظ على جورجيا ضعيفة ومفككة. وحذرت روسيا الاتحاد الأوروبي من محاولة إنشاء "مجال نفوذ" في شرق أوروبا في ٢٠٠٨. وكانت الأداة الأخيرة في يد الاتحاد الأوروبي لإبعاد "كييف" عن موسكو هي في نشر القيم الغربية والديمقراطية في أوكرانيا وسائر دول الاتحاد السوفيتي السابق. لقد انفقت الولايات المتحدة ما يقارب الخمسة

بلايين دولار على أوكرانيا منذ ١٩٩١ لتحقيق ما سمي "مستقبل أوكرانيا"، الأمر الذي دعا البعض إلى اعتبار أوكرانيا "الجائزة الكبرى" أو جائزة الولايات المتحدة الكبرى. (Mearsheimer, 2014, pp. 3,4)

كان تعافي روسيا تحت حكم بوتين بدءاً من العام ٢٠٠٠ كافياً لتمكينها من البدء في فرض نفسها داخل إقليمها والصراع ضد الولايات المتحدة والغرب. لقد استخدمت الوسائل العسكرية والفكرية، وقد تجسدت الأخيرة في تصاعد نزعتها القومية وإعادة تعريف هويتها خارج إطار الغرب. كان أحد أجزاء القتال الروسي ضد الغرب هو إرباك توسع الناتو والاتحاد الأوروبي في مجال روسيا الحيوي والعمل على زعزعة استقرار ذلك التوسع. وفعلت روسيا ذلك من خلال عديد من العمال مثل الهجوم السيبراني في العام ٢٠٠٧ على إستونيا، واستئناف جس النبض العسكري المنتظم لدفاعات الناتو من قبل قواتها الجوية والبحرية، والتدخل الخفي في السياسات الأوروبية من خلال دعم الأحزاب السياسية اليمينية المتطرفة. بالإضافة إلى وقف أي توسع إضافي لحلف الناتو والاتحاد الأوروبي شرقاً، حيث غزت روسيا جورجيا في العام ٢٠٠٨، وفصلت عنها أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية، ورسخت هيمنتها الاستراتيجية في القوقاز. (بوزان, ٢٠٢٣, p. 290)

دعم بوتين للولايات المتحدة في الحرب على الإرهاب، بل كان شريكاً هاماً. الأكثر من ذلك أن بوتين، وعلى غرار يلتسن، قد اقترح إمكانية انضمام روسيا إلى الناتو. ولكن في ٢٠١٣-٢٠١٤ حاول الغرب ضم أوكرانيا إلى الناتو الأمر الذي أدى إلى رد فعل روسي قوي. ورد فعل بوتين كان مبرراً على اعتبار أن أوكرانيا تمثل امتداداً استراتيجياً استخدمتها القوى التاريخية للوصول على روسيا، فقد عبرت على أوكرانيا قوات نابليون فرنسا وألمانيا التوسعية وألمانيا النازية بغرض احتلال روسيا. وبطبيعة الحال لن يتسامح أي من قادة روسيا مع أي تحركات من شأنها ضم أوكرانيا للعالم الغربي. وعدم فهم الغرب لرد فعل روسيا يعد خطأ كبيراً من وجهة نظر كثيرين شأن ميرشايمر وكيسينجر وغيرهم. (Hardy, 2022, p. 90)

خلال فترته الرئاسية الأولى، حاول بوتين صياغة سياسة خارجية عقلانية تجاه الولايات المتحدة والغرب ارتكازاً إلى المصالح، حيث قبل توسع الناتو في دول البلطيق ولكن ليس أكثر من ذلك، كما رأى مصالح مشتركة مع الغرب في محاربة الإرهاب العالمي. (Pursiainen & Forsberg, 2021, p. 320) لقد بدأ بوتين بعلاقات تعاون مع الغرب، على سبيل المثال، دعمه للولايات المتحدة بعد الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، ولكن هذا الدعم لم يدفع الناتو إلى ضم روسيا. أضف إلى ذلك أن العام ٢٠٠٤ شهد ضم الناتو لكل دول حلف وارسو السابق بل ودول البلطيق الثلاث التي كانت جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق، وهذا كله مع تأكيد الولايات المتحدة السابق

على عدم نية الناتو التوسع شرقاً. وبعد ثلاثة أشهر فقط من هجمات الحادي عشر من سبتمبر، قام بوش الابن بالانسحاب من معاهدة الحد من الصواريخ البالستية التي كانت قد أبرمت في العام ١٩٧٢ مع الاتحاد السوفيتي السابق. كما احتلت الولايات المتحدة العراق في ٢٠٠٣ على الرغم من معارضة روسيا وغيرها من الدول. أدى ذلك كله ببوتين إلى العودة بالدولة إلى مركز القوة العظمى. (Semenova & Winter, 2020, p. 825) (Dobbs,) (2018, p. 5)

بعد عمله كرئيس للوزراء لمدة أربعة سنوات هي فترة رئاسة ميدفيدف، تم انتخاب بوتين لفترة الرئاسة الثالثة في ٢٠١٢، والرابعة في ٢٠١٨، وفي تلك الفترات أظهرت خطابه وأفعاله تحولاً في التوجهات في مجال السياسة الخارجية وجاء ذلك تأثراً بازدياد قوته داخلياً. (Semenova & Winter, 2020, p. 825) ظهر في فترة رئاسة بوتين الثالثة ٢٠١٢، تركيزاً للسلطات. (Hanson, 2016, p. 35)

أهداف بوتين في مجال السياسة الخارجية:

بدأت السياسة الخارجية تحتل موقعاً من سياسة الإصلاح اللا-ليبرالية لبوتين. وذلك في سياق نقد الليبرالية التي لا تراعي العدالة أو أنماط العدالة، وتمت المقارنة بين "السيادة" و "الديمقراطية المحكومة". وظهرت في أوساط الكريملين انتقادات لقيم الاتحاد الأوروبي. وفي خطابه في ٢٠٠٧ في ميونيخ، أظهر بوتين قلقه على منطقة نفوذ روسيا التي تآكلت بفعل الثورات الأمر الذي أثر على شرعية الحكومات. ومثلت الحرب في جورجيا ٢٠٠٨ إيضاحاً لسياسات روسيا الأحادية في المنطقة. ومما لاشك فيه أن التدخل في أوكرانيا قد أخذ السياسة الخارجية الروسية إلى مستوى جديد (Sheynis, 2020, p. 143) (Sokolsky & Rumer, 2020, p. 10) تستهدف فيه روسيا العودة إلى قطبية النسق واستعادة مكانتها الدولية المفقودة.

فما لاشك فيه أنه عندما يكون هناك صراع أو تعارض بين الالتزامات الدولية والمصالح القومية، فإن المصالح يكون لها الغلبة والكلمة العليا، لأن ما يهم الدولة هو المنفعة والأمن والبقاء. (Jackson & Sorensen, 2013, p. 152) مثل ذلك رؤية بوتين الذي أعلن في ٢٠٠٧: "لا ينبغي الشك في نوايا روسيا، لأن العلاقات الدولية مثل الرياضيات لا يوجد فيها بعد إنساني". (Pursiainen & Forsberg, 2021, p. 100)

وفي خطاب ميونخ ٢٠٠٧ أعلن أن توسع الناتو يعد خرقاً ويقلل من مستوى الثقة في الغرب. (Pursiainen & Forsberg, 2021, p. 320) وبسبب توسع الناتو، حدثت الحرب الروسية ضد جورجيا، ومن ثم في القرم Crimea

وشرق أوكرانيا. وكانت العمليات الجوية للناطو في كل من إستونيا ولاتفيا ولتوانيا بمثابة الأسباب المباشرة لأزمة أوكرانيا (الأولى). حيث جاءت كتطبيق للمادة ٥ من ميثاق المنظمة القاضي بالأمن الجماعي أي أن أي اعتداء على أي عضو يعني اعتداء على أعضاء المنظمة كلها. (Cox & Campanaro, 2016, p. 229)

وعلى الرغم من ذلك، ينكر كل من الولايات المتحدة والغرب أن المقصود من توسع الناطو هو الإضرار بمصالح روسيا، في حين تظهر جميع سياساتهم استهداف احتواء روسيا. وفي ٢٠٠٢، تم إنشاء مجلس سمي مجلس الناطو-روسيا لتعزيز التعاون، بهدف تهدئة روسيا. ولمزيد من التهدئة وفي ٢٠٠٩ أعلنت الولايات المتحدة أنها ستنتشر نظام الصواريخ الدفاعية في المياه الأوروبية عوضاً عن جمهورية التشيك أو بولندا، ولكن ذلك لم يفلح في طمأنة روسيا، حيث ظلت بدورها تعارض توسع الناطو خاصة في جورجيا وأوكرانيا. (Mearsheimer, 2014, p. 6)

عودة الصراع مع الغرب:

وأظهر بوتين موقفه تجاه سلوك الغرب، ومن ذلك موقفه من إعلان الاستقلال الوشيك من قبل كوسوفو ٢٠٠٨ بأنه غير قانوني وغير مقبول وغير أخلاقي، وأدان الناطو والاتحاد الأوروبي بسبب المعايير المزدوجة. وبعد تسعة أعوام استقلت كوسوفو بالفعل. (Kramer, 2016, p. 82)

وكرر فعل على السياسات الغربية، أعلن بوتين في ٢٠١١ مشروع الوحدة الأوراسية Eurasian Union project، القاضي بتوحيد المجال الجيوبوليتيكي الروسي الطبيعي "روسيا الطبيعية" من خلال إعادة توحيد المجال السوفيتي. وأوضح أن نموذج ذلك، أو مثال ذلك الاتحاد الأوروبي ولكن مع التحفظ على القيم الليبرالية ونصح بوتين بالعودة إلى القيم "الحقيقية". وكان الهدف هو تحقيق الهيمنة الإقليمية في الأوراسيا وفي آسيا الوسطى. (Laruelle, 2016, p. 69)

وبذلك تأثرت علاقة موسكو سلباً بالغرب لاسيما بتوسع كل من الناطو والاتحاد الأوروبي، في حين أكدت موسكو على حق روسيا في مجال المصالح في دول الجوار. وتوضح التدخلات في كل من أوكرانيا وسوريا التوترات الدبلوماسية بين الطرفين الروسي والغربي. وما يمكن ملاحظته في سياسات بوتين الخارجية تجاه الغرب هو التحول أو الانتقال من الليبرالية إلى الواقعية البحتة وعودة لسياسات الحرب الباردة والنظر إلى الغرب على أنه "الأخر". والأكثر من ذلك، فإن العداء تجاه الغرب قد أصبح السياسة الروسية تجاه الغرب بل والأمر الذي يستمد منه النظام الروسي شرعيته، أي أنه أداة لاكتساب الشرعية. (Cucciolla, 2020, p. 8)

كما أقدمت روسيا على خطوة أكبر بكثير في العام ٢٠١٤، عندما غزت جزئياً أوكرانيا وضمت شبه جزيرة القرم. لقد أقدمت روسيا على فعل ذلك بالتنسيق مع الانفصاليين الموالين لروسيا في شرق أوكرانيا، مما خلق حالة من عدم اليقين المستمر بشأن ما إذا كانت روسيا تريد إضعاف البلاد أو تفتيتها أو تهيئة الظروف التي يمكن من خلالها دمج أوكرانيا ككل ضمن الاتحاد الروسي. (بوزان، ٢٠٢٣، pp. 290,291)

أما فيما يتعلق بأزمة القرم في ٢٠١٤، فقد وضعت ليبرالية روسيا كموضوع أو محل نقد من الغرب. ليشمل الأمر الأبعاد الجيوبوليتيكية والتوسعية الإمبريالية وكذا العودة لتكون قوةً عظمى من جديد. (Cucciolla, 2020, p. 23) (Baev, 2016, p. 103)

المبدأ العسكري الجديد:

في ديسمبر ٢٠١٤، أعلن بوتين "المبدأ العسكري الجديد" الذي يهدف إلى التغيير "sea change" في السياسة الخارجية الروسية وموقف الأمن والدفاع الروسي. وجاء ذلك لمواجهة تعاضم قوة الناتو التي تقترب أكثر وأكثر من الحدود الروسية، بالإضافة إلى مواجهة ما عُرف بمفهوم الضربة العالمية Global strike والتي تشير إلى مقترحات أمريكية لتطوير أسلحتها بحيث تكون قادرة على توجيه ضربة عسكرية إلى أي مكان في العالم في أقل من ساعة واحدة. في ٢٠١٥، تدخلت روسيا في سوريا كما عارضت وجود ISIS. كل هذه السياسات الخارجية تعكس استهداف بوتين القوة والمركز عالمياً (Semenova & Winter, 2020, p. 826) والتحول الواضح إلى المبادئ الواقعية في السياسة الخارجية.

أدانته دول أوروبا الغربية وكذا الولايات المتحدة الأمريكية التحركات الروسية المتمثلة في تدخلها في أوكرانيا وضم القرم. حيث اعتبرت الدول الغربية هذه التدخلات بمثابة التعدي على القانون الدولي والمعاهدات الدولية. نتيجة لذلك، أصبح من الصعب بناء شراكة مع طموحات "روسيا ذات السيادة"، وتمت الموافقة على عقوبات ضد روسيا وحرمانها من الولوج إلى السوق الحرة والاستثمارات الأجنبية في المنتجات ذات التقنية العالية وما إلى ذلك من العقوبات، الأمر الذي أساء إلى مركز روسيا عالمياً. (Gudkov, 2016, p. 58) (Sheynis, 2020, p. 143)

وبذلك أدت سياسات بوتين إلى أن يفرض عليه الغرب متمثلاً في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، عقوبات اقتصادية رفضتها القيادة الروسية التي عارضت سياسات الإملاء التي يفرضها عليها الغرب: "افعل ولا تفعل في الباحة الخلفية لروسيا". ومن جهة أخرى جاءت القرصنة السيبرانية الروسية وإمكانات التأثير على الإنترنت لتكون أداة

للتدخل في نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية في ٢٠١٦، كما كان هناك توجه للتأثير في الرأي العام البريطاني حيال استفتاء البريكسيت في ٢٠١٦ أيضاً، والانتخابات الرئاسية الفرنسية في ٢٠١٧، وفي انتخابات التجديد النصفي للكونجرس الأمريكي في ٢٠١٨. ويلاحظ وجود قبول واسع للسياسة الخارجية من قبل الشعب الروسي، لاسيما في دعمه القوى للثقافة والتاريخ والتقاليد والعقيدة الروسية. (Semenova & Winter, 2020, p. 827)

تقييم سياسات بوتين:

تنبأ البعض "ميرشايمر" في ٢٠١٤ بعد الأزمة الأوكرانية أن روسيا قد تحتل أوكرانيا بالكامل في المستقبل كرد فعل على توسع الناتو شرقاً. ويحمل ميرشايمر الولايات المتحدة والناتو مسؤولية هذه الأزمة. بالإضافة إلى التوسع السابق للاتحاد الأوروبي من خلال حركات التحول الديمقراطي لاسيما الثورة البرتغالية في أوكرانيا ٢٠٠٤، كلها عناصر هامة وحرية وتتطلب رد فعل. لقد عارضت روسيا في التسعينيات توسع الناتو ولن تقف اليوم مكتوفة الأيدي إزاء تحول منطقة استراتيجية على الغرب. وكانت ردود أفعال بوتين على كل ذلك أن بدأ بضم القرم لأنه خشي من أن تتحول إلى قاعدة عسكرية للناتو، ومن ثم أوكرانيا. ويقول ميرشايمر: لا يتوجب التقاؤ من رد فعل بوتين، فالغرب هو من بدأ بالتحرك في الباحة الخلفية لروسيا ومصالحها في مجالها الحيوي وبالقرب من حدودها، وهي المسألة التي عرضها أو أعلنها بوتين مراراً وتكراراً. (Mearsheimer, 2014, p. 1)

وبذلك أدى تدهور العلاقات الروسية مع الغرب إلى أن طُردت روسيا من مجموعة الثماني، النادي الاقتصادي للقوى الرأسمالية الرائدة، والتي كانت روسيا عضواً فيها منذ العام ١٩٩٨. كما فرض الغرب عقوبات ضد روسيا، كما زاد حلف شمال الأطلسي من نشاطه في أوكرانيا، والواقع أن أوكرانيا أصبحت موضوع شد وجذب بين الناتو وروسيا. ومن خلال هذه الخطوة، قطعت روسيا على نحو أساسي العلاقات مع أوروبا التي كانت قد أقيمت خلال التسعينيات، ووضعت نفسها مرة أخرى كقوة معادية تهدد الناتو، خاصة دول البلطيق والاتحاد الأوروبي. (بوزان, ٢٠٢٣, p. 291)

عندما ينظر القادة الروس إلى الهندسة الاجتماعية في أوكرانيا، فإنهم يقلقون من أن دولتهم ستكون التالية. ويذكر ميرشايمر ما كُتب في ٢٠١٣ في الواشنطن بوست: "أن خيار أوكرانيا بالانضمام إلى الناتو سوف يزيد من الأيديولوجية التوسعية التي يمثلها بوتين. وروسيا أيضاً تملك خياراً، وقد يجد بوتين نفسه الطرف الخاسر ليس فقط على الحدود بل في روسيا ذاتها". (Mearsheimer, 2014, p. 4) ويحلل البعض تأثير العقوبات على سياسات بوتين فيقول أن

العقوبات جعلت بوتين أقوى داخلياً من ناحية ولم تؤثر في سلوك روسيا الخارجي من ناحية أخرى. (Popescu, 2015, p. 2)

وفي هذا السياق ينصح البعض باستقراء اتجاهات بوتين التي تقضي بحماية الدولة من قوى الفوضى العالمية. (يلاحظ إطلاقه كلمة الفوضى على الليبرالية العالمية) ودور الكنيسة في الربط بين الدين والحرب وبناء ثقافة تؤكد على ضرورة هزيمة التعددية الثقافية وما بعد الحداثة بالقوة إن لزم الأمر. استدعى ذلك استرجاع أو استدعاء الذاكرة الثقافية الجماعية في الخطاب السياسي لدى بوتين، فخرج خطابه مؤكداً على أيديولوجية السيادة القومية في السياسة الداخلية والخارجية وتوجه بذلك الخطاب إلى النخبة الروسية والعامّة على السواء. (Cucciolla, 2020, p. 6)

تشكلت سياسات بوتين الخارجية حول تفسيره لسياسات الغرب. (Cucciolla, 2016, p. 20) تغيرت بذلك أهداف بوتين تبعاً لتغير الموقف خاصة في السياسة الخارجية. (Semenova & Winter, 2020, p. 827) ومن هنا كان اتجاه روسيا إلى آسيا وبناء تحالفات غير غربية على شاكلة التحالف مع الصين وغيرها، الأمر الذي يعني الاتجاه إلى الحضارات غير الأوروبية. (Sheynis, 2020, p. 144) ظهر مصطلح الحرب الباردة الجديدة في ٢٠٠٧- إلى الإشارة إلى أن روسيا عادت لتفكر وترسم مصالحها برؤية الحرب الباردة القديمة. (David, 2009, p. 185)

كما يحلل البعض التغير في توجهات بوتين خلال فترات رئاسته من خلال اتباعه للأنماط والقواعد والقوانين في السياسة الخارجية، ولكنه عندما وجد القواعد لا تُتبع، تغيرت توجهاته. كما يحلل البعض الآخر سلوك بوتين على أنه يهدف إلى إعادة بناء قوة الدولة كأولوية وذلك من خلال التدخلات العسكرية، وأن ضعف الدولة يعد تهديداً لبقائها، وأن كلاً من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والنااتو هم بمثابة التهديد لأنهم يتصرفون بعدائية تجاه روسيا. (Semenova & Winter, 2020, p. 828)

يرى ميرشايمر أن سياسات بوتين لها ما يبررها، فلن يتسامح أي قائد روسي مع وجود دولة تتكامل مع الغرب بالقرب من حدودها. فالقاعدة الجيوبولتيكية الأولى للدول العظمى تقضي بعدم السماح بأي تهديد بالقرب من المجال الحيوي للدولة. (Mearsheimer, 2014, p. 5) اعتبر القرم ٢٠١٤ بمثابة عودة موسكو إلى الهيمنة على محيطها الاستراتيجي ومصالحها وعودة للدولة العظمى في أوروبا. (Cucciolla, 2020, p. 6) أضف إلى ذلك الحرب الروسية الأوكرانية المعاصرة (غزاة، ٢٠٢٣، p. 68) (بوبوش، ٢٠٢٣، p. 71) التي تؤكد رؤية بوتين للمصالح

الروسية متمثلة في العودة إلى الصراع مع الغرب طالما اقتضت المصلحة الروسية ذلك، تلك المصلحة ذات المضمون الواقعي.

رابعاً: خاتمة

بتحليل دور القيادة السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية نجد أن حالة روسيا تُظهر أنه في الوقت الذي انسحب فيه جورباتشوف من جميع دوائر السياسة الخارجية، انخرط بوتين في الشؤون العالمية بشكل مكثف. وإذا كان دور جورباتشوف في تحديد مضمون المصلحة القومية السوفيتية كان يعني إنهاء الحرب الباردة والتحول عن النسق الدولي الثنائي، نجد أن بوتين قد حدد مصلحة قومية روسية قوامها العودة إلى قطبية النسق الدولي لاستعادة مكانة دولية مفقودة. وعندما نحلل سياسات جورباتشوف الخارجية فإنها تأتي في سياق مبادئ الليبرالية السياسية، في حين نجد أن سياسات بوتين تندرج تحت الواقعية السياسية والصراع مع الغرب ومحاولة الهيمنة؛ الأمر الذي يُظهر بما لا يدع مجالاً للشك الدور الجوهرى للقيادة السياسية في تحديد مضمون المصلحة القومية، تلك المصلحة ذات الجوهر الثابت والمضمون المتغير بتغير العديد من العوامل، لاسيما القائد السياسي للدولة.

References

1. Adomeit, H. Domestic Implications of Gorbachev's German Policy. In *Imperial Overstretch: Germany in Soviet Policy from Stalin to Gorbachev*. Nomos Verlagsgesellschaft mbH. <https://www.jstor.org/stable/j.ctv941vkp.10>
2. Adomeit, H. Gorbachev's Old and New Thinking. In *Imperial Overstretch: Germany in Soviet Policy from Stalin to Gorbachev*. Nomos Verlagsgesellschaft mbH. <https://www.jstor.org/stable/j.ctv941vkp.9>
3. Adomeit, H. The Last Crisis. In *Imperial Overstretch: Germany in Soviet Policy from Stalin to Gorbachev*. Nomos Verlagsgesellschaft mbH. <https://www.jstor.org/stable/j.ctv941vkp.11>
4. Alden, C., & Aran, A. (2017). *Foreign Policy Analysis: New approaches* (2 ed.). Routledge .
5. Baev, P. K. (2016). The Interplay Between the 'Hybrid War' Narrative and the 'Sovereignty-Territory-Resources' Discourse. In R. M. Cucciolla (Ed.), *The Power State Is Back The Evolution of Russian Political Thought After 1991* (1 ed.). Reset s.r.l. Via San Telesforo .
6. Bisley, N. (2012). The Cold War. In R. Devetak (Ed.), *An Introduction to International Relations* (2 ed.). Cambridge University Press .
7. Brar, B. (1994, Jun. 11 1994). Assessing Gorbachev. *Economic and Political Weekly*, 29(24), 1465-1475 .
8. Brown, C., & Ainley, K. (2005). *Understanding International Relations*. Palgrave Macmillan
9. Chiaruzzi, M. (2012). Realism. In R. Devetak (Ed.), *An Introduction to International Relations* (2 ed.). Cambridge University Press .
10. Cohen, S. F. (2004, Autumn, 2004). Was the Soveit System Reformable. *Slavic Review*, 63(3), 459-488. (Cambridge University Press (

11. Cox, M., & Campanaro, R. (2016). *Introduction to International Relations*. London School of Economic and Political Science LSE .
12. Cucciolla, R. M. (2016). The Importance of Understanding Contemporary Russia. In R. M. Cucciolla (Ed.), *The Power State Is Back? The Evolution of Russian Political Thought After 1991* (1 ed.). Reset s.r.l. Via San Telesforo .
13. Cucciolla, R. M. (2020). The Many Dimensions of Russian Liberalism. In R. M. Cucciolla (Ed.), *Dimensions and Challenges of Russian Liberalism: Historical Drama and New Prospects* (Vol. 8). William and Mary .
14. David, M. (2009). *Understanding Russian foreign policy after 1991: A contextual analysis* (Publication Number 10148060) [Ph.D., University of Surrey (United Kingdom)]. ProQuest Dissertations & Theses Global. England. <https://www.proquest.com/dissertations-theses/understanding-russian-foreign-policy-after-1991/docview/1814325547/se-2?accountid=178282>
15. Dobbs, J. (2018). Proud and Prejudiced; The Risk of Stereotypes in Russian-West Relations. *European Leadership Network*. <http://www.jstor.com/stable/resrep17428>
16. Fedorenko, S. (1993). Russia and Arms Control: The Trials of Transition to a Post-Soviet Era. *US Naval War College Review*, 46(2), 45-58 .
17. Goldstein, J. S., & Pevehouse, J. C. (٢٠١٤). *International Relations* (10 ed.). Pearson .
18. Golts, A. (2016). State Militarism as a Basis for Russian Identity. In R. M. Cucciolla (Ed.), *The Power State Is Back? The Evolution of Russian Political Thought After 1991*. Reset s.r.l. Via San Telesforo .
19. Griffiths, M. (2009). *Fifty Key Thinkers in International Relations* (Second ed.). Routledge
20. Gudkov, L. (2016). The 'Great Power' Ideologeme as a Condition of Putin's Regime Legitimacy. In R. M. Cucciolla (Ed.), *The Power State Is Back? The Evolution of Russian Political Thought After 1991*. Reset s.r.l. Via San Telesforo .
21. Hanson, M. (2012). Arms Control. In R. Devetak (Ed.), *An Introduction to International Relations* (2 ed.). Cambridge University Press .
22. Hanson, S. E. (2016). On the Novelty of Patrimonialism in Putin's Russia. In R. M. Cucciolla (Ed.), *The Power State Is Back? The Evolution of Russian Political Thought After 1991* (1 ed.). Reset s.r.l. Via San Telesforo .
23. Hardy, A. T. (2022). *America's Two Cold Wars From Hegemony to Decline?* (First Edition ed.). Palgrave Macmillan
24. Hermann, M., & Hermann, C. (1989, Dec. 1989). Who Makes Foreign Policy Decisions and How: An Empirical Inquiry *International Studies Quarterly*, 33 .(٤)
25. Hermann, M. G. (1980). Explaining Foreign Policy Behavior Using the Personal Characteristics of Political Leaders. *International Studies Quarterly*, 24(1), 7-46. (Wiley)
26. Hill, R. (2005). The Collapse of the Soveit Union. *History Ireland*, 13(2), 37-42 .
27. Hough, J. F. (1989, Winter 1989). Gorbachev's Politics. *Foreign Affairs*, 68(5), 26-41 .
28. Hough, J. F. (1990, Fall 1990). Gorbachev's Endgame. *World Policy Journal*, 7(4), 639-672 .
29. Jackson, R., & Sorensen, G. (2013). *Introduction to International Relations: Theories and Approaches* (Fifth Edition ed.). Oxford University Press .
30. Kaiser, R. G. (1991, Spring 1991). Gorbachev: Triumph and Failure. *Foreign Affairs*, 70 .(٢)

31. Kilpatrick, A. (2020). *After the Berlin Wall* (Vol. 1). Central European University Press. <https://www.jstor.org/stable/10.7829/j.ctv17db2gw.8>
32. Konzhukov, V. F. (2015). Post-Communist Media in Russia. In C. I. D. Landtsheer (Ed.), *E-Political Socialization, the Press and Politics*. Peter Lang AG. <https://www.jstor.org/stable/j.ctv2t4csq.15>
33. Kramer, M. (2016). War and its Impact on Politics and Political Thought. In R. M. Cucciolla (Ed.), *The Power State Is Back? The Evolution of Russian Political Thought After 1991*. Reser s.r.l. Via San Telesforo .
34. Laruelle, M. (2016). Russia as a Xenophobic Empire: Multiethnicity, the Nation and the Empire in Russia's 'Political Thought. In R. M. Cucciolla (Ed.), *The Power State Is Back? The Evolution of Russian Political Thought After 1991*. Reser s.r.l. Via San Telesforo .
35.]Record #210 is using a reference type undefined in this output style[.
36. McLaughlin, G. *Reporting the Cold War and the New World Order*. Pluto Press. Retrieved 17 Dec. 2022 from <https://www.jstor.org/stable/j.ctt19qgf0x.12>
37. Mearsheimer, J. J. (2014). Why the Ukraine Crisis is the West's Fault. *Foreign Affairs* .
38. Mingst, K. A. (2003). *Essentials of International Relations*. W.W.Norton & Company .
39. O'Callaghan, M. G. T. (2002). *International Relations: The Key Concepts*. Routledge .
40. Oustinova-Stjepanovic, G. (2020). One is the biggest number: estrangement, intimacy and totalitarianism in late Soviet Russia. In H. Amarasuriya (Ed.), *Intimate Life of Dissent*. UCL Press .
41. Pevehouse, J. S. G. J. C. (2014). *International Relations* (10 ed.). Pearson .
42. Popescu, N. (2015, April 2015). Sanctions and Russia: Lessons from the Cold War. *European Union Institute for Security Studies*(10). <http://www.jstor.com/stable/resrep06882>
43. Pursiainen, C., & Forsberg, T. (2021). *The Psychology of Foreign Policy*. Palgrave and macmillan .
44. Radchenko, S. (2019). Mikhail Gorbachev's 1989. *Atlantisch Perspectief*, 43(6), 30-33 .
45. Savranskaya, S. (2020a). Gorbachev's "New Thinking": A ProtoLiberal Program for the Soviet Union. In R. M. Cucciolla (Ed.), *Dimensions and Challenges of Russian* (Vol. 8). Springer .
46. Savranskaya, S. (2020b). Gorbachev's "New Thinking": A Proto Liberal Program for the Soviet Union. In R. M. Cucciolla (Ed.), *Dimensions and Challenges of Russian* (Vol. 8). Springer .
47. Semenova, E., & Winter, D. G. (2020). A Motivational Analysis of Russian Presidents, 1994–2018. *Political Psychology*, 41 .(٤)
48. Sheynis, V .(٢٠٢٠) .Paradoxes and By-Products of Liberal Reforms in Russia. In R. M. Cucciolla (Ed.), *Dimensions and Challenges of Russian Liberalism* (Vol. 8). Springer .
49. Sokolsky, R., & Rumer, E. (2020). *U.S.-Russian Relations in 2030*. Carnegie. <https://www.jstor.org/stable/resrep24912.7>
50. Steans, J. (2010). *An Introduction to International relations Theories: Perpectives and Themes* (J. Steans, Ed. Third Edition ed.) [Book]. Pearson .
51. Strange, S. (2010). What about International Relations? In S. Strange (Ed.), *Paths to International Political Economy* (Second Edition ed.). Routledge .
52. Taubman, W. (2017). Gorbachev: His Life and Times. *American Journal of Ophthalmology* .

53. Weber, C. (2001). *International Relations Theory* (Second ed.). Routledge .
54. Weldes, J. (١٩٩٦). Constructing National Interests. *European Journal of International Relations*, 2(3). <https://doi.org/10.1177/1354066196002003001>
55. Zhuravleva, V. I. (2016). America as the ‘Other’ in Russian Political Discourse: Post-Soviet Reality and International Challenges. In R. M. Cucciolla (Ed.), *The Power State Is Back? The Evolution of Russian Political Thought After 1991* (1 ed.). Reset s.r.l. Via San Telesforo .
56. Zubok, V. (2020). Intelligentsia as a Liberal Concept in Soviet History. In R. M. Cucciolla (Ed.), *Dimensions and Challenges of Russian Liberalism: Historical Drama and New Prospects*. Springer .
٥٧. بدوي, م. ط., & مرسي, ل. أ. (١٩٩٢). النظرية العامة للعلاقات الدولية (الرابعة ed). كلية التجارة، جامعة الاسكندرية.
٥٨. بوبوش, م. (٢٠٢٣, يناير ٢٠٢٣). مستقبل حلف شمال الأطلسي في ظل التحديات الدولية الراهنة. السياسة الدولية, ٢٣١(٥٨).
٥٩. بوزان, أ. أ. ب. (٢٠٢٣). تشكيل العلاقات الدولية العالمية (ع. ب. عشة, Vol. 502, Trans.). عالم المعرفة.
٦٠. جنسن, ل. (١٩٨٩). تفسير السياسة الخارجية. جامعة الملك سعود.
٦١. غزالة, م. أ. (٢٠٢٣, أبريل ٢٠٢٣). تداعيات الأزمة الأوكرانية على هيكل النظام الدولي. السياسة الدولية, ٢٣٢(٥٨).
٦٢. منصور, م. (٢٠١٥). محاضرات في تحليل السياسة الخارجية [محاضرات]. كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة الاسكندرية.
٦٣. هوتون, د. ب. (٢٠١٥). علم النفس السياسي (ي. حداد, Trans.; الأولى ed). المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.